

عُلُومُ الْبَلَاغَةِ
الْبَيَانِ وَالْمَعَانِي وَالْبَدِيعِ

تَأَلَّفَ
أُحْمَدُ مُصْطَفَى الْمُرَائِغَى

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

مزيدة ومنقحة ومخرجة الآيات القرآنية

الطبعة الثالثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تكس: Le 41245 Nasher

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٢٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاكس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٦٠٢١٢٣/٩٦١١

المقدمة

حمداً لك اللهم ، بك المعونة والتوفيق ، ومنك الهداية لأقوم طريق ، اذا
أظلمت الشبهات ، في دجنة الخطوب المدلهات ، وبفضلك نطلب يقيناً يلاً الصدر ،
ويستولي على زمام القلب ، ويكبت سورة النفس ، فيردها عن غيرها ، ويكبح
جراح شهواتها ، فإنك الملجأ والنصير والمعين ، وصلاة وسلاماً على محمد عبدك
ورسولك الذي آقبتة الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ وأهلمته
الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من
أهل الزور والبهتان .

وبعد - فإن موضع علوم البيان من علوم العربية ، موضع الرأس من الإنسان ،
او اليتيمة من قلائد العقيان ، فهي مستودع سرها ، ومظهر جلالها ، فلا فضيلة
لكلام على كلام ، إلا بما يحويه من لطائفها ، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ،
ولا تبريز لتكلم على آخر ، إلا بما يحوكه من وشيها ، ويلفظه من درها ، وينفته
من سحرها ، ويخنيه من يانع ثمرها .

إلى أن بها نعرف وجه إعجاز القرآن ، وندرك ما فيه من خصائص البيان ،
ونفهم براعة أسلوبه ، وانسجام تأليفه ، وسهولة نظمه وسلامته ، وعذوبته
وجزالاته ، الى أمثال تلك الحسنات التي أسالت على العرب الوادي عجزاً ، حتى
حارت عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم ، حتى اضطر ذلكم
المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته المأثورة :
« والله إن لكلامه لخللوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه
لمورق ، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما هو بقول البشر ، فالجاهل بأسرارها ،

والمحروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الإعجاز إلا بالتقليد ،
ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء في قضية النظر ، هو والزنجي والبربري ،
والفارسي والنبطي ، إذ كل أولئك يتلقونه سماعاً ، ويصل إليه علمه مشافهة .

عما تقدم تعلم جليل خطرهما ، وعظيم منزلتها ، وأنها لا تدانيها منزلة علم آخر
من علوم العربية ، فلا غرو إذا اتجهت هم العلماء والباحثين في مختلف العصور
إلى التأليف فيها ، وبسط القول في بيان مغازيها ومراميها ، وقد رأينا أن ندلي
دلونا بين الدلاء ، ونضرب بسهم في هذا الميدان ، والله ولي التوفيق ، والهادي
لأقوم طريق .

أحمد مصطفى المراغي

نبذة في تاريخ علوم البيان ...

١ - الحاجة الى وضع قواعدها

(أ) اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى اندلع لهيبها وتطاير شررها الى جميع أنحاء البلاد الإسلامية ردماً من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه إعجاز القرآن ، واختلفوا في ذلك طرائق قديداً ، وتفرقوا أيدي سباً ، وتعددت نزعاتهم ، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور في زُبر المتكلمين كالمواقف لعضد الدولة ، والمقاصد لسعد الدين التفتازاني .

وكان الرأي الآفن من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأي إبراهيم النظام صاحب المذهب الذي ينسب اليه (مذهب الصرفة) إذ قال : إن القرآن ليس معجزاً بفصاحته وبلاغته ، وإن العرب كانوا قادرين على أن يأتيوا بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقاً لنبيه ، وتأييداً لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه ، فانبرى للرد عليه جم غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني ، وإمام الحرمين ، والفخر الرازي ، وناضلوا نضالهم الحمود الذي خلد لهم في بطون الأسفار فكتبوا الفصول الممتعة مبينين خطل رأيه وفساد مذهبه ، بما أملت عليه قرائنهم الوقادة ، وأفكارهم النقادة ، حتى لم يبق في القوس منزع ، ولا زيادة لمستزيد .

(ب) كذلك قامت سوق نافقة للحجاج والمناظرة ، بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر الجاهلي ، الذين رأوا أن الخير كل الخير في المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم في حل من كل قديم ، لا يشاكل بيثة

الحضارة التي عُذوا بلبانها ، وربوا في أحضانها ، ولم يكن الغرب ليحلموا بها من قبل ، ولو أن القدر أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدنية ، وطرائف لطائفها ، لكان لهم شأن في آدابهم ، ومميسع في أساليبهم غير شأنهم هذا .

(ج) أضف الى تلك الضوضاء وذلك اللجج ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه ، في بيان وجود تحسين الكلام حتى يرقى في سلم البلاغة ، وينال قسطه من الفصاحة ، وتناقضت آراؤهم في ذلك أيما تناقض ، ففريق مال الى رصين الكلام الجامع بين العذوبة والجزالة ، وفريق أولع بالمنطق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشد الى ذلك ما تراه في كتاب « الشعر والشعراء » لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكثير عزة بأنها موقنة خلافة في لفظها ، لكنك اذا فتشتها وبجثت عن ذات نفسها لم تحلّ منها بطائل ، وهي :

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومستح بالأركان من هو ماسح
وشدت على حذب المهاري رحالنا	ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطي الأباطح

ثم ما تجده في كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قتيبة واتهام ذوقه ، ووافقه على نقده أبو الفتح بن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتاب « الخصائص » ، والإمام عبد القاهر في « أسرار البلاغة » ، وأطال الإطراء لثالثها الى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن .

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة الى أن يعضوا قوانين وضوابط يتعاطون اليها عند الاختلاف ، وتكون دستوراً للناظرين في آداب العرب ، منشورها ومنظومها ، ونشأ من ذلك البحث في علوم البيان ، أو علوم البلاغة .

٢ - أول من دونها

لا نعلم أحد سبق أبا عبيدة معمر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٢١١ هـ . فقد وضع كتاباً في علم البيان سماه « مجاز القرآن » ، لكنه لم يرد بالمجاز الوصف الذي ينطبق على ما وضع من القواعد بعد ، بل هو أشبه بكتاب

في اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التي أريد بها غير معانيها الوضعية ، ألا تراه وقد
سئل مرة عن قول الله عز و علا : ﴿ طلمها كأنه رؤوس الشياطين ﴾ (١) ،
فقال : هو مجاز كقول امرئ القيس : « ومسنونة زرق كأنياب أغوال » .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف في علم المعاني ، وإنما أثر فيه نبذ عن بعض
البلغاء كأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكتاني المتوفى سنة ٢٥٥ هـ إمام الأدباء
وسلطان المثنئين في عصره ، والقُدوة في أساليبه التي اختص بها ، وتحدها فيها
الأئمة من بعده .

فقد أشار الى مسائل منه في كتابه « إعجاز القرآن » وعنه في كتابه
« البيان والتبيين » بدرس بعض القواعد التي كثر ولوع القوم بها في عصره ،
كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن
الاسجاع ، ثم قفاه ابن قتيبة في كتابه « الشعر والشعراء » والمبرد في كتابه
« الكامل » فتمرضاً لبعض نتف من هذه العلوم .

وغني عن البيان أن المتكلمين بداءة ذي بدء في أي فن من الفنون لا يجيئون
بأطرافه ، ولا يتغلغلون في استقصاء مباحثه .

لكننا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسي
المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات ، وألف كتاباً سماه
« البديع » ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس
والسجع ، الى غير ذلك ، وقال : « ما جمع قبلي فنون البديع أحد ، ولا سبقني
الى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليعمل ، ومن رأى إضافة
شيء من المحاسن اليه فله اختباره » .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ،
ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتاباً
في نقد الشعر سماه « نقد قدامة » ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من البديع زيادة على
ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعاً .

(١) سورة الصافات الآية ٦٥ .

تلاهذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله المسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وألف كتابه «الصناعتين» صناعتى النثر والنظم ، جمع فيه خمسة وثلاثين نوعاً من البديع ، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والإيجاز والإطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب في نقد الشعر ، الى غير ذلك من جليل المباحث .

وكتابه يعتبر أول مصنف أشير فيه الى مسائل علوم البيان الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) .

٣ - رقى هذه العلوم بتأليف الامام عبد القاهر

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطن ، ونايفة البلغاء ، وإمام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذي نظر بمنة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا تنقفاً مبغثرة لا تسمن ولا تغني من جوع فشر عن ساعد الجد ، وجمع متفرقاتها ، وأقام بناءها على أسس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار ، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يبلي في كتابيه « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد ، حتى أناف بها على اليقاع ، وقرن فيها بين العلم والعمل ، اذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قرار إلا بكثرة الأمثلة والناذج ، فالصور الإجمالية التي تؤخذ من القواعد ، إن لم تؤيدها الصور التفصيلية التي تستفاد من الناذج ، لا تتمثل في الأذهان حتى تتمثل ، ولا تنجلي حقيقتها تمام الإنجلاء .

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة البيان ، وما تجلّى به قلمه من الطلاوة الخلافة ، والبلاغة الساحرة للألباب .

٤ - الامام جار الله الزمخشري

نبغ إثر عبد القاهر أستاذ المفسرين ، جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره « الكشاف » نحاً فيه نحو الفرض المقصود من تفسير التنزيل ، وهو إظهار أسرارهِ ، وشرح وجه إعجازه ، ببيان وفاء دلالاته على المراد ، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها ، حتى بلغ هذه المرتبة ، وحتى تحدى البشر بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

وغني عن البيان أنه لن يصل الى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سليمة ، ورأياً حقيقياً ، وفكراً ثاقباً ، وبرهاناً ساطعاً ، وقلماً أطلوع له من بنانه حتى يتاح له بوضوح البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا أبان في 'عرض كلامه كثيراً من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعد ، دستوراً للكلام في كثير من مسائلها .

٥ - أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي ، المتوفى سنة ٥٦٢٦ هـ وألف كتابه « مفتاح العلوم » وجمع في القسم الثالث منه زيادة ما كتبه الأئمة قبله في هذه الفنون ، ونظم لآثارها المتفرقة في تضاعيف كتبهم ، وأحاط بكثير من قواعد المبعثرة في الأمهات ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها خير تبوب ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الاطلاع على علوم المنطق والفلسفة .

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب على علوم اليونان واصطلاحاتهم مع ما بينها من بعد الدار ، وشط المزار واختلاف البيئات وتباين المعتقدات ، لكان خير كتاب أخرج للناس في هذه الفنون ، لجمعه شتاتها ، وضمه ما تفرق من قواعدها .

وقد اختصر مؤلفه في كتاب آخر سماه « التبيان » ، ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة ، كما فعل ابن مالك في كتابه « المصباح » والخطيب جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٥٧٣٩ هـ في كتابه « تلخيص المفتاح » و « شرح الإيضاح » والأخير مؤلف جليل ، جمع فيه مؤلفه خلاصة « المفتاح » و « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » و « سر الفصاحة » لابن سنان الخفاجي .

٦ - الوزير ضياء الدين ابن الأثير

بينما السكاكي يؤلف كتابه « مفتاح العلوم » اذا بالوزير ضياء الدين أبي الفتح نصر بن محمد الموصلبي الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي، يصنف كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » وهو كتاب فريد في بابه يفوق أنداده وأترابه ، جمع فيه فأوعى ، ولم يترك شاردة ولا واردة ، لها مساس بالكتابة والقريض إلا ذكرهما بشرح واف ، يدل على طول باع ، وسعة اطلاع ، مسع قدرة على النقد ، وبديهة حاضرة في إدراك خصائص البلاغة ، ومن ثمة اشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون ، وطبق عليها كثيراً من آي الكتاب والسنة النبوية ، وتلك منقبة امتاز بها من بين هاتيك المؤلفات في تلك العلوم .

وكان يحاكي في أسلوبه أسلوب القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير صلاح الدين الأيوبي (على ما بينها من شاسع البون) وطريقة القاضي معروفة بين المتأدبين وهي من النوع الذي يغلب عليه السجع والجناس وغيرهما من المحسنات اللفظية ، وكانت براعة الكتاب في هذا المعصر وما بعده تظهر في استعمال تلك الطلاوة اللفظية ، وبها يفوق كاتب كاتباً ، ويزن الأقران في هذا الميدان .

٧ - عصور الاختصار ووضع الشروح والحواشي

طلق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والحواشي على المفتاح وتلخيصه للقرظيني ، وصرفوا جل همتهم في تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين ، والجمع بين ما تناقض من آرائها .

ومن أجل تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشروح السيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم تتابعت التقارير والحواشي توضح ما انبهم من تلك التراكيب الجملة ، والمبارات الغامضة ، وليس علينا من غضاضة في التصريح بأن أساليب التأليف في تلك العصور قد ملكت عليها العجمة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعميد بجملها ورجلها ، فلم تكن هي الأساليب التي يحذر أن تكتب بها علوم البلاغة ، أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين .

ومن ثمة لم يكن القارىء ليجمعها قدوة في أساليبها ، أو نماذج في تراكيبها ، فهي أحرى أن تكون أساليب اصطلاحية علمية ، لا لغوية أدبية ، تشرح خصائص كلام العرب وتبين مزايا أساليبه ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت الى ما تراه اليوم ، تتضاءل في أطلالها البالية وتزوي أمام أهل الجيل الحاضر .

٨ - تأليف معاصرنا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الغابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقاً سويماً ، لا مشاكلة بينه وبين ما تقدمه في معهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف أساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة أن يحصلوا على بفيتهم منها ، فحمد لهم الناس جميل صنعمم وأوفوهم حقهم في الثناء والتقريظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة إبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وإن اختلف ترتيبها ، وتنوع تبويبها ، تنحو على الجملة في أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم (وقد عرفت حال هذه التأليف) فضلاً عن خلوها من الأمثلة المنوعة التي تتضح بها مجملات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب «دروس البلاغة» فهو على إيجازه الذي لوحظ فيه حال النشء ، وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كقيل بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع .

٩ - طريقنا في التأليف

رأينا أن نضع كتاباً يجمع بين طريق المتقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والاعتماد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارىء خصائص البلاغة مرموقة محسوسة ، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق المعلم على العمل ، والإجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس ، وطريق المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب ، وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجع في الدرس ، وأقرب إلى التناول .

فإذا كنا قد وُفقتنا إلى ما قصدنا وهدينا إلى الغرض الذي توخينا ، فذلك من فضل الله علينا ، وإن كنا تنكبنا عن جادة الحق وأخطأنا شاكلة الصواب ، فليغض القارىء الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ،

فإن الطريق وعمر ، والمركب غير ذلول ، وقديماً قال الأول : « كفى المرء نبلاً
أن تعدّ معايبه » .

وليعلم أننا لم ندخر وسعاً في تحصيل ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا
وتجويده ، بمد أن قضينا زمناً طويلاً في البحث والتنقيب ، في الأمهات المؤلفة
في هذه الفنون وغيرها للمتقدمين والمتأخرين ، واطلعنا على الرسائل التي
صنفاها معاصرونا ، ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيراً ، وعليه التكلان ،
وبه المستعان .

أحمد مصطفى المراغي

المقدمة

في حقيقة الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحاً

- للفصاحة لغة ومعان متعددة كلها تشف عن الظهور والإبانة ، فيقال :
- ١ - فصَحُ اللبْنُ وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة ، قال نضلة السلمي :
وتحت الرغوة اللبن الفصيح ^(١)
 - ٢ - أفصح الصبح: بدا ضوءه، ومنه المثل: «أفصح الصبح لذي عينين» ^(٢).
 - ٣ - يوم مفصح وفصح لا غم فيه ولا قرّ .
 - ٤ - أفصح الأعجمي بالعربية ، وفصحُ لسانه بها إذا خلصت لفته من اللكنة
وفي التنزيل : ﴿ وأخي هرون هو أفصح مني لساناً ﴾ ^(٣) أي أبين مني قولاً .
وبلاغة لغة : تنبىء عن الوصول والانتباه .
- يقال : بلغتُ الغاية إذا انتهت إليها ، ومبلغ الشيء منتهاه ، ورجل بليغ
وبلّغ وبلّغ ، حسنُ الكلام فصيحُه يبلغُ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، وبلغُ
بالضم بلاغة : صار بليغاً ، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ ،
وتبالغ به الفرح والحزن : تناهى .
- أما البلاغة اصطلاحاً فالبلغاء في ذلك فريقان :

- ١ - المتقدمون كالإمام عبد القادر الجرجاني ومن لف لفته ، وهؤلاء يرون

(١) يضرب مثلاً للامر ظاهره غير باطنه .

(٢) يقال للشيء ينكشف بعد استتاره .

(٣) سورة القصص الآية ٣٤ .

أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد توخي^(١) معاني النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التي يصاغ لها ، وإلى ذلك أشار في دلائل الإعجاز في مواضع عدة منها قوله : « فصل في تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها مما يفرده اللفظ بالنعمة والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتامها فيما له كانت دلالة » ، ثم قال : « ولا جهة لاستعمال هذه الحاصل غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذي هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » .

وقال قبله أبو هلال العسكري في الصناعتين : « الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة على المعنى والإظهار له » .

وقال الفخر الرازي في نهاية الإيجاز : وأكثر البلقاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها استعمال الشينين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما .

ويشهد لذلك قول الجوهري في الصحاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا الرأي فمرجمها وما شاكلها النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢ - المتأخرون كأبي يعقوب يوسف السكاكي وابن الأثير ، ومن شايعها ، وأولئك يرون إخراج الفصاحة من كَنَف^(٢) البلاغة ، ويجعلونها اسماً لما كان بنجوة^(٣) من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سيذكر

(١) الطلب والتحري .

(٢) الناحية والجانب .

(٣) يقال : هو بنجوة من كذا إذا كان بعيداً .

بعد ، ويحملون البلاغة اسماً لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا الرأي فالبلاغة كل^١ والفصاحة جزؤه ، وعليه أيضاً فالفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

والى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال ، وقيل : الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب ، فكأنها مقصورة على المعنى ، اه
وها نحن أولاً نشرحها لك على الرأي الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهداية لأقوم طريق .

الفصاحة

تقع الفصاحة وصفاً للمفرد والكلام والمنكلم .

فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب^(١) :

- ١ - تنافر الحروف .
- ٢ - غرابة اللفظ
- ٣ - مخالفة القياس .
- ٤ - الكراهة في السمع .

تنافر الحروف

صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها ، ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم والشعور الذي ينشأ من مزاولته أساليب البلغاء ، وليس منشؤه قرب مخارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه ، ونحوه ، الفم والشجر ، وتجد لفظ ملع بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر ، ولا طول الكلمات لأنه إن صح ذلك في نحو

(١) لتسلم من الخلل مادته وصيغته ومعناه .

صَهْفَلَقُ^(١) وَخَنْشَلِيلُ^(٢) وَمَا جَرَى بِجَرَاهِمَا ، فَلَيْسَ بِصَحِّحٍ فِي نَحْوِ لَيْسْتَخْلَفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ فَسَيَكْفِيكُمْ اللهُ .

ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساسه المشاهدة ، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي نحو : عذب وعسجد . أما الخماسي الأصول نحو : صهصلق وجمجرش ، وما جرى مجراها ، فإنه قبيح ، ومن ثمة لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن الكريم إلا ما كان معرباً من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل .
والتنافر ضربان :

١ - شديد متناه في الثقل كالصممع^(٣) والظساسيج^(٤) والظشش^(٥) .

٢ - خفيف كالنقناخ^(٦) والنقنقة^(٧) والمتفجر^(٨) ومستشزرات في قول امرئ القيس :

غداثره مستشزرات^٩ الى الملا تضل المدارى في مثنى ومرسل^(٩)

والضمير في غداثره يرجع الى فرع في قوله قبله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعشك^(١٠)

(١) الشديد من الاصوات .

(٢) السيف .

(٣) الصغير الرأس .

(٤) جمع طسوج القرية ونحوها .

(٥) الموضع الحشن .

(٦) الماء العذب .

(٧) صوت الضفادع .

(٨) السائل من ماء أو دمع .

(٩) غداثره أي ذوائبه جمع غديرة وهي الشعر الشديد بخيوط على الرأس ومستشزرات أي مرتفعات وتضل تعيب والمداري جمع مداراة آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبد ، والمثنى المقتول وضده المرسل .

(١٠) الفرع الشعر والاثيث الكثير والقنو الكباسة والتعشك كثير المشاكل أي العيدان التي عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وقرة شعرها ، وكان من عادة نساء العرب أن تشد قسما من الشعر كالرمانة ، ثم ترسل فوقه المثنى والمرسل .

الغرابية

هي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوفة الاستعمال عند خلص العرب (لا عند المولدين لأن كثيراً مما في المعاجم غريب عندهم) .
ولذلك سيبان^(١) :

١ - احتياجها الى بحث وتفتيش في كتب اللغة ، ثم يكثر على معناها بعد كُتْمُسْحَنْفَرَةٌ^(٢) وُبَعاق^(٣) وجر داحل^(٤) وجحيش بمعنى فريد مستبد برأيه في قول ثابت شراً يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يظل بمومة ويمسي بغيرها جحيشاً ويعروري ظمور المسالك^(٥)
ومرجلة وزيزم في قول ابن جعدار :

حلفت بما أرقلت حوله مرجلة خلقتها شيطم
ومسا شبرقت من تنوفية بها من وحي الجن زيزم^(٦)

وربما لا يكثر على معناها كجحلنجع ، قال في اللسان : قال أبو تراب : كنت سمعت من أبي الهيمسح حرفاً وهو جحلنجع فذكرته لشمر بن حمدويه وتبرأت اليه من معرفته ، وكان أبو الهيمسح من أعراب مدين لا تفهم كلامه ، وأنشدته ما كان أنشدني :

(١) لأن الغرابية أما في الجوامد والصادر المشتقات باعتبار مبادئها أي أصولها وهو القسم الأول ، وإما في المشتقات باعتبار هيئاتها ، وهو القسم الثاني .

(٢) أي متسمة .

(٣) المطر .

(٤) الرادي .

(٥) المومة الفائزة ويقال: للمستبد برأيه جحيش وحده بالتصغير عند إرادة الذم واعروري

الفرس ركبه عريانا .

(٦) الأرقال ضرب من السير والمرجلة الناقة السريعة والشيطم الشديد الطويل من الأبل ، والحيل وشبرقت قطعت ، والتنوفية الفائزة والوحي الصوت الخفي وزيزم حكاية صوت الجن إذا قالت زي زي على زعمهم . يريد أنه حلف بما سارت حوله الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وربما قطعت من مفازة لا يسمع فيها إلا صوت الجن .

إن تمعي صوبك صوب المدمع يجري على الخد كضئب الشعع
وطمعة صيرها جعلتجع لم يحضها الجدول بالتنوع^(١)

قال في المثل السائر : ومن الغريب من يعاب استعماله في النثر دون النظم
كلفظ مشمخر في أبيات بشر في وصف الأسد :

وأطلقت المهندس من يميني فقد له من الأضلاع عَشرا
فخرٌ مضرجاً بدم كآني هدمت به بناء مشمخر^(٢)

ولفظ الشدنية ، وهي ضرب من النوق في قول أبي تمام :

يا موضع الشدنية الوجناء ومصارع الأدلاج والاسراء^(٣)

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله في الكلام المنشور يسوغ استعماله في
المنظوم دون العكس ، وذلك شيء استنبطته ودلني عليه الدوق .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين : ورأيت الناس يدبرون في كتبهم ، أن امرأة
خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر ، فانتهرها مراراً فقال له يحيى : أن سألتك
ممن شكرها وشكرت أنشأت تطلبها وتضللها^(٤) ، فإن كانوا قد رروا هذا الكلام
لكي يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وإن كانوا فعلوا ذلك
لأنه غريب فأبيات من الشعر المعجاج والطرماع تأتي لهم مع الوصف الحسن على
أكثر من ذلك .

٢ - احتياجها الى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود نحو

مسرَجاً وصفاً للأنف في قول رؤبة بن المعجاج (شاعر إسلامي) :

(١) الصوب المطر المنصب والضئب حب اللؤلؤ والطمعة النظرة والصير السحابة البيضاء
وحضا النار حركها والجدول النهر والتنوع تحريك الريح العصفن والتذبذب وصيرورة الشيء أنواعا .

(٢) قد قطع والمضرج الماطخ بالدم والمشمخر العالي .

(٣) الأيضاع نوع من السير ، والوجناء عظيمة الوجنتين ، والأدلاج والاسراء من

سرى الليل .

(٤) الشكر يفتح الشين وكسرهما عضو التناسل ، والشير النكاح ، وضهل فلان حقه نقصه

وظله مطلق .

أيام أبدت واضحاً مفلجاً أعر براقاً وطرفاً أبرجاً
ومقلةً وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً^(١)

فالمرسن الأنف ولا يدري ماذا أراد بوصفه بمسرج ، ومن ثم اختلف أئمة اللغة في تفسيره ، فابن دريد قال : هو من قولهم للسيوف سرجية أي منسوبة الى حداد يسمى 'سرجياً' ، فهو يريد تشبيهه بالسيف السرجي في الدقة والاستواء ، وابن سيده صاحب (المحكم) قال : هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به في البريق واللمعان ، وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه بالكسر ، أي حسن ، وسرج الله وجهه ، بهجته وحسنه .

وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعل بالتشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء الى آخر لا على التشبيه ، فدلالتها عليه بعيدة ، وقريب من هذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لمسا فيه من دخول الخيرة على السامع كاستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده ، إلا إذا وجدت قرينة تخصصه بالمراد ، نحو عزز ، فإنه لفظ مشترك بين التعظيم والإهانة فلا تقول لقيت فلاناً فعززته إلا بقرينة ، ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القرينة فقال : ﴿ فالذين آمنوا معه وعزروه ونصروه ﴾^(٢) فذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم

مخالفة القياس

كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب كجمع ناكس على نواكس ، بمعنى مطأطي الرءوس في قول الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكسَ الأبصار

مع أن فواعل إنما تنقاس في وصف لمؤنث عاقل ، لا لمذكر كما هنا ، وكفك الادغام في أجلل من قول أبي النجم بن قدامة من رجّاز الإسلام :

(١) الضمير في أبدت يعود الى محبوبيته ليلي في الابيات قبله وواضحاً أي فما فيه أسنان واضحة والفالج تباعد ما بين الأسنان والأعر الأبيض والبريق اللمعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والترجيح للتدقيق مع تقويس ، وفاحماً أي شعر اسود كالنعم .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

الحمد لله العلي الأجلل أنت ملك الناس رباً فاقبل

واستعمال همزة القطع بدل همزة الوصل في قول جميل :

ألا لا أرى إنثنين أحسن شيمة^(١) على حدثان الدهر مني ومن مجمل^(٢)
وعكسه في قوله : إن لم أقاتل فألبسوني برقماً .
فهذا وأمثاله قبيح يشين الكلام ويذهب بمائه^(٣) .

قال في الصناعتين : وإنما استعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية ،
والبداية مزلة ، مع أن أشعارهم لم تكن تُنقد عليهم ، ولو نقدت كما تُنقد على
شعراء هذه الأزمنة ويُبهرج^(٤) من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب لتجنبوه .

وقال القاضي عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبئ وخصومه :
ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام
الحجة لوجدت كثيراً من أشعارهم معيباً مترذلاً ومردوداً منقياً ، لكن هذا الظن
الجليل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب
وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام . اهـ

ويستثنى من ذلك ما ثبت عن العرب من الشواذ نحو : أبى ، يابى^(٥) ،
وعور^(٦) واستعوذ^(٧) وقطط^(٨) شعره .

الكراهة في السمع

هي أن تقع الكلمة الأسماع وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرشي^(٩) ،
بمعنى النفس في قول أبي الطيب يمدح سيف الدولة :

(١) الشيمة الخلق والحدثان نوايب الدهر وجمل فرسه أو جملة .

(٢) حسنه وروثقه .

(٣) البهرج الرديء .

(٤) قياس مضارعه الكسر ، لأن المفتوح المين لا يكون إلا إذا كثرت عين ماضية أو لامة

حرف حلق كسأل ونفع .

(٥) القياس فيه عار لتحريك الواو وانفتاح ما قبلها .

(٦) القياس استعاذ .

(٧) تجعد .

مبارك الاسم أغرّ اللقب
وكانتقاخ فيما أنشده شمر:

وأحق من يلعق الماء قال لي
دع الخمر واشرب من نقاخ مبرد^(٢)

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استئصال الطبع لما يسمع، وإنما يتصور من
جهة غرابة الكلمة ووحشيتها، ففي ذكر الغرابة غنية عن ذكرها.

تدريب أول

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

قال المتنبي يمدح سيف الدولة :

- ١ - وما أرضى لمقلته بحلم إذا انقبت قومه (ابتشاكاً)^(٣)
- ٢ - لم يلقها إلا بشكة باسل يخشى الحوادث حازم (مستعدد)^(٤)
- ٣ - يا نفس صبراً كل حي لاق وكل (اثنين) إلى افتراق
- ٤ - فلا يبرم الأمر الذي هو (حالل) ولا (يحلال) الأمر الذي هو يبرم
- ٥ - أن بني للثام زمده مالي في صدورهم من (مودّده)
- ٦ - كتب بعض أمراء بغداد رقعة طرحها في المسجد الجامع حين مرضت أمه فقال : صين أمرو و رعى دعا لامرأة (إنفجحة) ، (مقسّنة) فقد منيت بأكل الطرموق فأصابها من أجله (الاستمصال) أن يمن الله عليها (بالاطرغشاش) ، و (الابرغشاش)^(٥) .

(١) مبارك الاسم لأن اسمه علي من العلوي، وأغرّ اللقب أي مشهوره لأنه سيف الدولة .
(٢) يلعق يلصق ، والتقاخ العذب من الماء .
(٣) الابتشاك الكذب والحلم والرؤيا التي يراها النائم .
(٤) الضمير يعود الى الحرب ، والشكة الحصلة ، والبائل الشجاع .
(٥) أنفجحة يابسة ومقسّنة مسنة عجوز ومنيت ابتليت والطرموق الخفاص والاستمصال
الاسهال والاطرغشاش والابرغشاش البرء من المرض .

الاجابة

السبب	الحكم	الكلمة
لقلة استعمالها ومن ثم قال الصحاح بن عباد لم يسمع هذا اللفظ في شعر قديم ولا محدث	غريبة	الابتشاك
إذ الواجب في هذه الحالة الادغام	مخالف للقياس	مستعد
إذ جعل همزة الوصل همزة قطع وأثبتها	مخالف للقياس	إثنين
إذ الواجب الادغام في مثل هذا	مخالف للقياس	حائل
إذا الواجب الادغام في مثل هذا	مخالف للقياس	يحلل
إذا الواجب الادغام في مثل هذا	مخالف للقياس	مودده
لقلة الاستعمال وثقل النطق	غريبة متنافرة	إنقحلة
لقلة الاستعمال وثقل النطق	غريبة	مقسئنة
لقلة الاستعمال وثقل النطق	غريبة متنافرة	الاستمصال
لقلة الاستعمال وثقل النطق	غريبة متنافرة	الاطر غشاش
لقلة الاستعمال وثقل النطق	غريبة متنافرة	الابر غشاش

تدريب ثان

يبين ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - قال ابن نباتة في خطبة له يذكر أهوال يوم القيامة :
(أقطر) وبألها ، و (اشمخر) نكالها ، فاساغت ولا طابت^(١).
- ٢ - يوم (عصبصب) و (هلوف^٢) ملا السجسج طلا^(٢).
- ٣ - قد قلت لما (اطلختم^٣) الأمر وانعشت عشواء تالية غبسا (دهاريسا)^(٣)
- ٤ - نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا (جيدر^٤) ولا جيس^(٤)

(١) أقطر اشتد والربال الثقل والوخامة واشمخر طال.
 (٢) والعصبصب الشديد الجر والهلوف الذي يستر غمامه شمه والسجسج الارض السهلة والطل المطر الندى أو المطر القليل .
 (٣) اطلختم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والمشواء الناقة الضعيفة البصر والغبس جمع أغبس وغبساء وهي الشديدة الظلمة وهو لأبي تمام ويعده :
 لي حرمة بك أضعى حق فازلها وقفا عليك فدتك النفس محبوبيا
 (٤) حباك أعطاك والاروع الممجب والجيدر القصير والجبس الثقيل .

- ٥ - تقي نقي لم يكثر غنيمه بنهكة ذي قوبى ولا (بمقلد) (١)
- ٦ - قال امرؤ القيس حين أدركته المنية وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجده على قتلة أبيه : رب جفنة (مثنجره) ، وطعنة (مسحنفره) ، وخطبة مستحضره ، وقصيدة محبره ، تبقى غداً بأنقره (٢).

الاجابة

الكلمة	الحكم	السبب
اقمطر	متنافرة	لنقل النطق بها
اشمخر	غريبة	لقلة الاستعمال
عصيص	غريبة	لقلة الاستعمال
هلوف	غريبة	لقلة الاستعمال
اطلخم	غريبة غليظة في السمع	لقلة استعمالها ووحشتها
دهاريس	غريبة غليظة في السمع	لقلة استعمالها ووحشتها
جيدر	غريبة	لقلة استعمالها ووحشتها
حقلد	غريبة	لقلة استعمالها ووحشتها
مثنجر	متنافرة	لقلة استعمالها وثقل النطق بها
مسحنفرة	متنافرة	لقلة استعمالها وثقل النطق بها

تمرين (١)

يبين ما أدخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - تشكو الوجى من (أظلل وأظلل) من طول إملال وظهر 'ممل' (٣)
- ٢ - فأرحام شعر تتصلن (لدننه) وأرحام مال ما تقي تقطع (٤)
- ٣ - رواق العز حولك (مُسبَطْر) وملك علي ابنك في كمال (٥)

(١) النهكة الغلب والحقلد الاثم .

(٢) المثنجره اللأى والمسحنفرة التسمة ، وأنقرة بلد بآسيا الصغرى .

(٣) الوجى الحقي والأظلل باطن خف البعير وبمعير ممل أكثر ركوبه حتى دير ظهره .

(٤) تنا متأخر ، وتقطع تتمزق .

(٥) مسبطر ممتد .

- ٤ - لا نسب اليوم ولا خلة (إتسع) الفتق على الراقع^(١)
 ٥ - فأيقنت أني عند ذلك نائر غدائئذ أو هالك في (الهوالك)^(٢)
 ٦ - قال أبو علقمة يوماً لحاجه : أرهف 'ظبات المشارط ، وأمر' المسح ،
 واستنجل الرشح ، وخفف الوطء ، وعجل النزح ، ولا تكرهن أيباً ،
 ولا تردن أيباً ، فقال له الحجام : ليس لي علم بالحروف^(٣).

تمرين (٢)

بيّن ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١ - جرت سحاً فقلت لها (اخبريني) نوى مشمولة فمقى اللقاء^(٤)
 ٢ - اعاذل قد جريت من 'خلقي أني أجود لأقوام وإن (ضننوا)
 ٣ - من كلام أم الهيثم الأعرابية لأبي عبيدة الراوية ، وقد عادها في علة أصابتها ،
 كنت وحى (سدكة) ، وشهدت مادبة ، فأكلت (جججبة) ، من صفيف
 (هلمة) فاعترتني (زلخنة) ، فقبل لها أي شيء تقولين ، فقالت أو للناس
 كلامان ، والله ما كلمتكم إلا بالعربي الفصيح^(٥).
 ٤ - يا نرجس الدنيا أقم أبدا (للاقتراح) ودائم النخب^(٦)
 ٥ - قال بعض الأدباء لكاتبه بوصيه بحسن الجلسة للكتابة والاستماع لما يلي
 عليه ، ألصق روافك (بالجبوب) ، وخذ أسطر (بشناترك) ،

(١) الخلة للصدقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق .

(٢) الثابار الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره .

(٣) أرهف رقق ، والظبات جمع ظبة وهي السيف والموسى ، والمشارط جمع مشروط وهو
 مبضع الحجام الذي يشترط به الجلد واستنجل استخرج والرشح النز والأبي المتنع والآتي الجائي
 والحروف هنا اللغات .

(٤) السح الشديدة والنوى البعد وهو خير لبتدأ محزوف أي هذه والمشمولة العامة .

(٥) سدكة مشتهية للطعام والجججبة كرش يحشى باللحم المقطع ، والصفيف الشواء ، والهلمى

أثنى المعز ، والزلخنة وجع في الظهر .

(٦) الاقتراح الابتداء والاختيار ، والنخب الشربة العظيمة من الخمر وغيرها .

واجل ('خندورتيك) الى (قبيل) حتى لا أئفى نفيسة ، إلا أودعتها
('حماطة 'جلجلانك) (١) .

فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب للتمام والناقص (٢)
وفصاحته تكون بسلامته من كل ما يتفلق به معناه وينبهم مغزاه ، وإلا كان
مردوداً خارجاً عن حدود البلاغة ، ورسوم الفصاحة ، ولو احتوى على أجل
المعاني وأشرفها ، وإنما يتم له ذلك إذا عرى عن الأشياء الآتية :

- ١ - تنافر الكلمات مجتمعة ، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات .
- ٢ - ضعف التأليف .
- ٣ - التعقيد اللفظي .
- ٤ - التعقيد المعنوي .

تنافر الكلمات - المعاطلة (٣) اللفظية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند
النطق بها ، وقد علم بالاستقراء أن منشأه إما :

- ١ - تكرير حرف أو حرفين من كلمة في المنشور أو المنظوم ، وهو قسبان :
- (١) ما اشتد ثقله وتناهى كالذي أنشده الجاحظ :
- وقبرُ حرب بمكان قفرُ وليس قربَ قبر حرب قبرُ (٤)
- فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية ، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها
من بعض .

(١) الروائف جمع رانفة الالية والجبوب الأرض ، والقلم والشتائر الأصابع ، والخندورتان
حذنتا العين ، والقبيل الوجه ، والحماطة حبة القلب ، والجلجلان الصدر .
(٢) كالركب الاضافي ، والركب التقييدي ، وهو مجاز من اطلاق الخاص على العام .
(٣) عاظل الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض .
(٤) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شمر الجن قالوه
لما قتلوه بثأر حبة منهم ودفنوه بناحية بميدة وقفر ، نمت مقطوع للضرورة أو هو خبر ، والباء
بمعنى في أي مكان .

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبي تمام :

كريم مق أمدحه أمدحه والورى معي وإذا ما لمتُهُ لمتهُ وحدى^(١)
وقول المتنبي :

كيف ترثي التي ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راق^(٢)

فتكرار الحاء والهاء المتقاربي المخرج في بيت أبي تمام ، والجيم والراء في أكثر كلمات بيت المتنبي ، أوجب الثقل فيها .

وقال بعض الوعاظ في كلام أورده: (حق جناتُ وِجَنات جنات الحبيب)
فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال : سمعت جيماً في جيم فصحت .

٢ - إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف ، سواء اختلفت بين المضي والاستقبال نحو قول القاضي الأرجاني يحدث عن الشمع :

بالنار فرقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحي^(٣)

أم لم تختلف كقول المتنبي يمدح سيف الدولة :

أقل أنل أقطع احمل على سل أعد زدهش بش تفضل أدن سر صل^(٤)

فورود نذرت أعود أقتل متتابعة على تلك الشاكلة في البيت الأول جاء ثقيلًا متعاطلاً ، كما أن مجيء أفعال الأمر متكررة في البيت الثاني جعل للثقل فيها حظاً عظيماً ، فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن في الثقل كالأول نحو قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن :

احمل وامرر وضر وانقع ولن واخشن وأبرر ثم انتدت للمعالي^(٥) .

(١) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل بالذم ، وكأنه أراد أن ينفي الذم عنه بتفقيه اللوم بالطريق الأولى .

(٢) وراءها وأما فحصل فيه إعلال بالقلب بتقديم الألف وتأخير الهززة ورقا الدمع والدم انقطع ، يريد أنها لا ترحم باكبيا لأنها تحسب الدمع في أجفان المشاق خلقيا .

(٣) يقول بلسان الشمع أنه ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه لكن النار فرقته بينه ، وأنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضاً من ألم الفراق .

(٤) أقل من الاقالة وأقطع من الأقطاع لأرض ونحوها وعل من العلو وصل ، أي بالعطية .

(٥) أبرر من قولهم أبر اليمين أمضاها على الصدق وانتدب لكذا ساسها .

٣ - إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي في المديح ، وقد أولع كثيراً بهذا النوع :

دان يמיד محب مبغض بهج أغرّ حلو ممرّ لين شرس
ند أبي غرّ واف أخى ثقة جمعد سرّانه ندب رضى ندّاس^(١)

ولا يخفي ما فيه من الثقل فما أشبه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات .

٤ - تماقب الأدوات ومجىء بعضها إثر بعض كمن وإلى ، وفي وعن وعلى كقول أبي تمام :

كانه في اجتماع الروح فيه له في كل جارحة من جسمه روح^(٢)
وقول المتنبي يصف فرساً :

وتسعدني في عمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد^(٣)

فجىء في بعد له في البيت الأول ، ولها منها عليها في البيت الثاني ، أوردت فيها ثقلاً حمل اللسان يتعثر عند النطق بها ، قال صاحب الصناعتين : وسبيل تلافي ذلك أن تفصل بين الحرفين كأن تقول : أقمت به شهيداً عليه .

٥ - تتابع الإضافات كما تقول : سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بابك :

حمامة جرعى حومة الجنادل اسجمي فأنت بمراى من سعاد ومسمع^(٤)

قال في دلائل الإعجاز : ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الإستكراه ، قال صاحب بن عبادة : إياك والإضافات المتداخلة ، وذكر أنه يستعمل في الهجاء كقوله :

(١) الشرس الصلب هنسا والغرى المغرى بفعل الجميل وجمد الماضي في الأمور والسري الشريف والنهي العاقل والندب السريع في أموره ، والندس العارف البعانة ، يريد أنه محب لأهل الفضل مبغض لأهل التقص يبهج بالتقاص ويحلو لأوليائه ويمر على أعدائه .

(٢) الجارحة العصور يريد أن يقظ نشيط .

(٣) الغمرة الشدة ، والسبوح الفرس الحسن العدو الذي لا يتعب راكبه كأنه يسبح في الماء يريد أنه يمينه على الشدائد ، وله شواهد دالة على كرم خصاله .

(٤) الجرعى تأنيث الأجرع وهي الرملة لا تنبت شيئاً ، والحومة معظم الشيء ، والجنادل الحجارة ، والسجع هديل الحمام المعنى الطربي لأن الحبيبة تراك وتسمعك .

يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة^(١) في خيارة ،
(تنبيه) لا يقبح القسيان الأخيران إلا إذا أوجبا ثقلاً على اللسان ،
وإلا فلا يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة في قول
قطري بن الفجاءة :

ولقد أراني للرماح دريئة^(٢) من عن يميني مرة وأمامي^(٣)
كما تكررت الإضافة ولطفت في قوله تعالى : ﴿ ذِكْرٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ
زَكَرِيَّا ﴾^(٤) وقول ابن المعتز :

وطلت قدير الراح أبدي جاذر عتاق دنانير الوجوه ملاح^(٥)
ومن ذلك تعلم أنه لا وجه لعد هذين القسمين بعميدين عن التنافر .

ضعف التأليف

هو أن يكون تأليف الكلام مخالفاً لما اشتهر من قوانين النحو المشهورة ،
كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعراف (مع وجوب الفصل في نحو هذا) ،
كقول المتنبي :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا^(٥)
وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :
أنظرا قبل تلوماني الى طلل بين النقا والمنحنى^(٦)
وكحذف نون يكن في الجزم حين يليها ساكن نحو :

(١) قوله ثلجة في خيارة في أي خيارة ثلجة ، وفي هذا اشتباه من عبد القامر ، لأنه ليس فيه
تتابع اضافات .

(٢) الدررئة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن والرمي (النشان) .

(٣) سورة مريم .

(٤) الراح الحمر ، والجاذر جمع جؤذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسان لجبال عينيه ،
والمناق التجائب ودنانير الوجوه أي وجوههم مثلثة كالدنانير .

(٥) الغزاة الشمس ، يريد أن البلاد اذا خلت من الشمس ليلا جعلك الله عوضاً منها .

(٦) الطلل ما بقي من آثار الديار ، والنقا والمنحنى موضعان .

لم يك الحق سوى أن هاجه رسم دار قد تعفت بالمررا^(١)
 وكالاضمار قبل الذكر لفظاً ومعنى وحكماً^(٢) في قول حسان بن ثابت:
 ولو أن مجدأ أخذ الدهر واحداً من الناس أبقي مجدأ الدهر مطمماً^(٣)

التعقيد

هو ألا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد ، ولذلك سببان ،
 أحدهما يرجع الى خلل في النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظي ، وثانيهما يرجع
 الى المعنى وهو التعقيد المعنوي .

التعقيد اللفظي^(٤)

حقيقته أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعاني ، فيفسد نظام
 الكلام وتأليقه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك ، كتقديم الصفة
 على الموصوف ، والصلة على الموصول .

وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه ،
 وذلك ضد الفصاحة التي هي ظهور وإبانة ، ومن ثم قال العتايي : الألفاظ أجساد
 والمعاني أرواح ، وإنما تراها بعين القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرأ أو أخرت
 منها مقدماً ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس الى موضع يد
 أو يد الى موضع رجل ، فإن الحلقة تتحول والحلية تتغير .

وأكثر من استعماله الفرزدق وكأنه كان يقصده لأن مثله لا يجيء إلا متكلفاً ،
 إذ لو خلى الإنسان ونفسه تجري على سجيتها في الاسترسال لم يعرض لها شيء من
 هذا النوع ، فن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك :

(١) هاج ثار ورسم الدار أفرها وتعفت درست واضمحلت والمرر موضع .
 (٢) فإن تقدم الضمير لفظاً وتأخر معنى جاز نحو ضرب غلامه محمد ، وكذا إن تقدم لفظاً
 وتأخر حكماً نحو نعم رجلاً على .
 (٣) يرثي مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبي عليه الصلاة والسلام .
 (٤) قد يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى وإن كان كل منها جازياً
 على قانون النحو ، فلا يعني ذكر ضعف التأليف عنه .

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره^(١)
يريده الى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حتى أهبم المعنى .
وقوله في البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل في التعقيد يمدح به إبراهيم
ابن هشام بن إسماعيل الخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه^(٢)
مراده : وما مثل هذا المدوح في الناس حي يقاربه ويشبهه في الفضائل
إلا مملكا أبو أم ذلك الملك أبو المدوح ، فيكون المدوح خال الملك ،
وخلاصة ذلك أنه لا يماثله إلا ابن أخته .

فانظر رعاك الله كيف عقد المعنى ، وصار به الى النعمية دون الافصاح ،
ولهذا قال الرماني : قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة : سوء الترتيب
وبه تميز نظام الكلام ، وسلوك الطريق الأبعد في قوله : أبوه أمه أبوه ، وكان
يجزئه أن يقول : خاله ، وإبقاع مشترك الألفاظ في قوله : حي يقاربه ، لأنها
لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة .

قال في المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خط يهجتها كأن قفرا رسومها قلما^(٣)

يريد فأصبحت بعد يهجتها قفرا كأن قلماً خط رسومها ، ففصل بين الفعل
الناقص وخبره ، وبين كأن واسمها ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وقدم خبر
كأن عليها ، وعلى اسمها .

التعقيد المعنوي

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة
والكنائيات المفتقرة الى وسائط ، أو اللوازم القريبة الحفية الملاقة ، مع عدم

(١) محارب وكليب قبيلتان .

(٢) فصل فيه بين البتداء والخبر وهو أبو أمه أبوه بالأجنبي الذي هو حي ، وبين الموصول
الصفة ، أعني حي يقاربه بالأجنبي الذي هو أبوه ، وتقديم المستثنى أعني مملكا على المستثنى
منه ، وهو حي ، وفصل كثير بين البديل وهو حي ، والبديل منه وهو مثله .

(٣) الظاهر أنه يصف دياراً درست وعفت آثارها .

ظهور القرائن الدالة على المقصود ، فبمعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول
المعباس ابن الأحنف :

سأطلبُ بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
يريد أنه يتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، عله
يحظى بوصول يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانهم ، وفرجت
كروهم . وهذا المعنى مطروق لهجت به ألسن الشعراء والكتاب ، قال
عروة ابن الورد :

تقول سليبي لو أقتَ بأرضنا ولم تدر أني للمقام أطوف
وقال أبو تمام :

أألفة النحيب كم افتراق ألمٌ فكان داعية اجتماع^(١)

وقيل للربيع بن خيثم ، وقد صلى ليلة حق أصبح : أتعبت نفسك ، فقال :
راحتها أطلب .

إلا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سنن قويم ، فإنه كنى عما قصد
بكنائيتين أصاب في أولهما ، المحزّ وطبّق المفصل ، وأخطأ في آخرهما وجه
الحقيقة ، ولم يسلك المبيح الواضح في الرمز والإيماء الى ما أراد ، بيان هذا أنه
دل بديئاً بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب
والنصب ، فأصاب شاكلة الصواب ، فإن البكاء عنوان الحزن والأمانة الدالة
عليه ، فيرمز به اليه حق قالوا : « أبكاني وأضحكني » على معنى ساءني وسرتني ،
كما قال الحماسي :

أبكاني الدهرُ ويا ربما أضحكني الدهرُ بما يرضى^(٢)

ثم تلا ذلك فدل يجمود العين على ما يوجبه دوام التلاقي ، من الفرح والسرور ،
لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا ، إذ الجهود إنما هو خلو العين من البكاء عند
الداعية اليه ، فهو كناية عن البغفل بالدموع حين الحاجة إليها ، كما قال أبو عطاء
يرثي أبي هيبيرة :

(١) ألم نزل ، ولنحيب البكا .

(٢) قبله : أتزلني الدهر على حكمه من شامخ عال الى خفض .

ألا إن عيناً لم تجدُ يوم واسط عليك مجاري دمعها جمودُ
لا كناية عن السرور لأنه لو صح ذلك لجاز أن يدعى به فيقال : لا زالت
عينك جامدة ، كما يقال : لا أبكى الله عينك ، ولا خفساء في بطلان ذلك ،
كما يرشد إليه قول أهل اللغة : سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها ،
على معنى أن السنة بخيلة بالقطر ، والناقة لا تسخو بالدر .

وهكذا حسال الكنايات التي استعملها العرب ، لأغراض إذا غيرها المتكلم
وأراد بها أغراضاً أخرى ، كما إذا استعمل قولهم : بيته كثير الجرذان ، كناية
عن وسخ المنزل وسوء نظامه ، وقولهم : أبيض سربال الطباخ ، كناية عن نظافة
الطاهي وحسن هندامه ، كان ذلك خروجاً من سنن العرب واستعمالهم ، وعند
ذلك تعقيداً ، إذ هذا غير ما يتبادر إلى الفهم ، لأن العرب كنت بالأولى عن كثرة
الطعام ، وبالثانية عن البخل .

تدريب أول

أذكر ما أخل* بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١- تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطهبان
- ٢- لما رأى طالبوه مُصعباً دُعروا وكاد لو ساعد المقدورُ ينتصر
- ٣- لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنتَ ولكن ذاك لم يكن
- ٤- لما عصى أصحابه مُصعباً أدوا إليه الكيل كيلا بصاع
- ٥- ولم أر مثل جبراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مُقام

الاجابة

- ١- في البيت تعقيد لفظي ، إذ تقديره : نكن يا ذئب مثل من يصطهبان .
- ٢- فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في طالبوه يعود إلى مصعب وهو متأخر
لفظاً ومرتبته .
- ٣- فيه تنافر في الكلمات ، أوجبه تكرار لفظ كنت عدة مرات .
- ٤- فيه ضعف التأليف ، لأن الضمير في أصحابه يعود إلى مصعب المتأخر
لفظاً ومرتبته .
- ٥- فيه تنافر في الكلمات ، سببه تكرار لفظ : مثل .

تدريب ثان

اذكر ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي:

- ١ - ولذا اسم أعظية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل
- ٢ - تجمعت في فؤادهم هم ملء فؤاد الزمان إحداها
- ٣ - ألا ليت شعري هل يلومنّ قومه زهيراً على ما جرّ من كل جانب
- ٤ - لو لم تكن من ذا الوري اللذ منك هو عقت ببولد نسلها حواء
- ٥ - قبيل أنت أنت أو كنت منهم وجدك بشر الملك المهام
- ٦ - جواب مسألي اله نظير ولا لك في سؤالك لا الألا

الاجابة

- ١ - فيه تعقيد لفظي، لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف سميت أعظيتها جفوناً .
- ٢ - فيه تنافر، أوجبه ثقل النطق بالهاء والم مجتمعتين في كلمتين .
- ٣ - فيه ضعف التأليف، لأن الضمير في قومه يعود الى متأخر لفظاً ورتبة .
- ٤ - فيه تنافر، لثقل تأليف البيت وركعة صوغه .
- ٥ - فيه تعقيد وتنافر، لأن تقديره قبيل أنت على شرف قدرك، أنت منهم، وأنت أنت ، وإذا كنت أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخراً .
- ٦ - فيه تنافر، أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حتى قال الصاحب بن عباد: ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمماً، وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع بالألاء حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذي لا يقف حيث يعرف .

تمرين (١)

أذكر سبب خروج ما يأتي من الأساليب الفصيحة :

- ١ - وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه^(١)
- ٢ - لم تر من نادمت إلا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

(١) ازور عدل وعاف كره والمعافي طالب المعروف والعرف النوال والمطاء .

- ٣ - وبه يضمن على البرية لا بها
 ٤ - هو السيف الذي نصر بن أروى
 ٥ - ونهت نفسي بعدما كدت أفعله^(٢)
 ٦ - الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل^(٣)

تمارين (٢)

- (١) وقلقتُ بالهم الذي قلقت الحشا
 (٢) ليس إلاك يا عليُّ مامٌ
 (٣) ومن جاهل بي وهو يحجل جهله
 (٤) صان اللثيم وصنت وجهي ماله
 (٥) فما من فتى كنا من الناس واحدا
 (٦) فتنتني فجنتني تجنني
 (٧) زار داود أروى وأروى
 قلاقلَ عيسى كلهن قلاقل^(٤)
 سيفه دون عرضه مسلول
 ويجهل علمي أنه بي جاهل
 ووفى فلم يبذل ولم أتبذل^(٥)
 به نبتني منهم عديلا نبادله^(٦)
 بتجنن يفتن غب تجنني^(٧)
 ذات دل إذا رأيت داودا^(٨)

فصاحة المتكلم

هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يحول في خاطره من الأغراض والمقاصد .

- (١) الضن البخل والبرية الخلق ، بوسي يحزن ، يريد أنه يبخل بالمدوح على الناس كلمهم لا بهم يبخل عليه .
 (٢) نهته كفت وزجر :
 (٣) يريد أنك أطيب من الطيب وأطهر من الماء إذا اغتسلت به .
 (٤) قلقت حرك والحشا داخل الجوف وقلاقل الأولى جمع قلقة وهي الناقة السريمة والثانية جمع قلقة وهي الحركة ، وخمير كلهن للميسر لا للقلقل ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذي حرك نفسي نوقاً خفاناً في السور سريعات الحركة .
 (٥) الأصل صان اللثيم ماله ووفى ، فلم يبذل وصنت وجهي ولم أتبذل .
 (٦) تقديره فما فتى واحداً من الناس كنا نبتني به عديلا نبادله منهم ، أي أنه لا نظير له يكون عوضاً منه .
 (٧) تجنني آخر الصراع الأول اسم امرأة وتجنن ، أي بدعوى ذنب ، ويفتن بتشوع ، وغب عقب .
 (٨) أروى اسم امرأة ، والدل الدلال .

وبتلك الصفة يتمكن من صياغة ضروب الكلام ، من مديح وهجاء وتهان ومرات ، وخطب محبرة ، ورسائل منمقة في الوعظ والإرشاد ، والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو نثر هذه المنزلة إلا إذا كان ملماً باللغة كثير الاطلاع على كتب الأدب ، محيطاً بأسرار أساليب العرب ، حافظاً لمعنى كلامهم من شعر جيد ونثر مختار ، عالماً بأحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، محيطاً بعمدات العرب وأخبار أيامهم .

البلاغة

تقع البلاغة وصفاً للكلام ، والتكلم ، ولم يسمع وصف الكلمة بها .

بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقتها لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحتها^(١) . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البيان وقوة المنطق ، فلاسوقة كلام لا يصح غيره في موضعه والغرض الذي يبني له ، ولسرارة القوم والأمراء فن آخر لا يسد مسداه سواء ، ولقد أفصح عن ذلك الخطيب حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

تحنن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

قال صاحب الصناعتين : وربما غلب سوء الرأي وقلة العقل على بعض علماء العربية ، فيخاطبون السوقي والمملوك والأعجمي بألفاظ أهل نجد ، والسرارة كآبي علقمة إذ قال لطبيب : « أجد رسيماً في أسنأخي وأرى رجماً فيما بين الوابلة الى الأطرة من دأيات العنق »^(٢) فقال له الطبيب (متهكماً) : هل من وجع القرشي ؟ قال له : وما يبعدنا منهم يا عدوي نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجل واحد . قال الطبيب : كذبت ، وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك . قال : بل لك الهوان والخسارة والسباب .

(١) فإذا قلت: فلان مستمدد للامر، لم يكن بليفاً .

(٢) الرئيس ابتداء الحمى إذا فتر الجسم، والاسنأخ منابت الأسنان، والوابلة طرف الكتف والأطرة كل ما أحاط بشيء ، ودأيات العنق نقارها .

ومما سبق تعلم أن :

(١) الحال (المقام) هو الأمر الذي يدعو المتكلم الى إيراد خصوصية في التركيب .

(٢) المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة .

(٣) مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .

فمثلا الوعظ حال ومقام يقتضي البسط والأطناب ، وذلك البسط مقتضى ، وإيراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكرأ يوم البعث حال يقتضي التأكيد ، والتأكيد مقتضى ، وكونك تخاطبه بقولك « إن يوم الساعة لا شك فيه » مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذكي يخالف في الخطاب مقام الغبي ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ، لأن لكل منها من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده .

مراتب البلاغة

بلاغة الكلام متفاوتة ، لأن الألفاظ إذا ركبت لإفادة المعاني المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العدد ، ألا ترى أن طلبة الفرقة اذا كتبوا في موضوع واحد في منشئاتهم تناولوا معاني متقاربة ، أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون في الأشياء الآتية :

(١) العبارة التي ينشئونها .

(٢) ترتيب المعاني .

(٣) بسط الألفاظ أو إيجازها .

وكما كان المتكلم أكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات ازداد الكلام حسناً وكلما كان أوفى بها كان أبلغ ، وبالعكس اذا قل وقاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقل مرتبة في البلاغة ، ولا يزال ينزل حتى يصل الى المرتبة السفلى ، فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان ، وإن كان صحيح الإعراب .

والمرتبة العليا وما يقرب منها هي مرتبة المعجز ، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبة أن يأتوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل في أرقى العصور

فصاحة وأكملها بلاغة ، ومع ذلك وجم العرب ، وخرست شقاشقهم مع طول
التعدي وشد التنكير عليهم ، وحقت له الكلمة العليا .

ثم يليه في الرتبة كلام رسوله ﷺ ، فقد أوتي من جوامع الكلم ما حارت
في أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلغاء من العرب جاهليين
وإسلاميين .

شواهد

من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة

القرآن الكريم هو ينبوع الذي لا يفيض ماؤه والشجرة التي لا ينقطع ثمرها
والجديد الذي لا تبلى جدته ، فقد ضرب الأمثال ، وتفجرت منه ضروب الحكمة
وقص علينا من أخبار الماضين وسير القافرين ما فيه العبرة لمن كان له قلب أو
ألقى السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائع الأساليب ، وبديع التراكيب ، انظر الى ما جاء فيه عند
ذكر الحساب والصراط والميزان ، تجدد اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، نحو :
﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله
ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام يُنظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها
ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم
لا يظلمون ﴾ (١) . كما تجدد السهل الملهل خطاباً لنبيه ﷺ نحو :
﴿ والضحى والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلا ﴾ (٢) الى آخرها .

وقد اغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض فأوتيت
من موجز الحكم وجامع الكلم ما لا يزال نجمة الرائد وكمبة القاصد ، فمن جزلها
قوله ﷺ : « يا بن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن وينقص كل يوم
من عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وتطلب ما بطنيك ، لا بقليل تقنع
ولا بكثير تشبع » .

(١) سورة الزمر .

(٢) سورة الضحى .

ومن مهلهلها وسهلها قوله ~~بعض~~ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
واعدد نفسك في الموتى ، فإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح ، وإذا أصبحت
فلا تحدثها بالمساء ، وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن
فراغك لشغلك » .

وإن شئت إيضاحاً وبياناً ، وعلماً وعرفاناً ، فوازن بين قول النمر بن تولب
يذم الحياة :

يود الفق طول السلامة والغنى	فكيف ترى طول السلامة يفعل
يكاد الفقى بعد اعتدال وصحة	ينوء اذا رام القيام ويحمل
وقول الفند الزماني :	

أيا تملك يا تمل	وذات الطوق والحجل
ذريني وذرى عذلي	فإنت العذل كالقتل

تجد المدى واسعاً والهوة بينها سحيقة والتفاوت لا حد لغايته ، أو اقرن بين
قول معن بن أوس في الفخر :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة	ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها	ولا دلني رأبي عليها ولا عقلي
وأعلم أي لم تصبني مصيبة	من الدهر إلا قد أصابت فقى قبلي
وقول بشار بن برد :	

ربابة ربة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت

ترى عجباً عجباً وتفاوتاً في الصنعة لا يحتاج الى مرأه أو جدل .

وإن شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه ولفظه ،
ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ، وما قالوا
في مثله إنه يدخل في الآذان بلا استئذان فانظر قول الرقاشي في العظة والاعتبار :
« سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإن لم تحبك حواراً
أجابتك اعتباراً » . وقول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقاً لا يجب عليه ،
وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر ، واستكثر قليل الشكر ، لا زالت
أياديك فوق شكر أوليائك ، ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

بلاغة (١) المتكلم

هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ،
ببديع القول وساحر البيان ، ليملغ من مخاطب غاية ما يريد ، ويقع لديه الكلام
موقع الماء من ذي الغلة الصادي ، وتلك الملكة لا يصل إليها إلا من أحاط
بأساليب العرب خبيراً ، وعرف سنن مخاطبهم في منافراتهم ومفاخراتهم ومدىهم
وهجومهم واعتذارهم وشكرهم ، ليلبس لكل حال لبوسها ، ويراعي الخصائص
والمقتضيات التي تناسبها .

انظر الى النبي ﷺ تجده راعى حال من يخاطبه ، فكتب الى أهل فارس
بما يسهل ترجمته ، فقال : « من محمد رسول الله الى كسرى أبوز عظيم فارس ،
سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فأدعوك بداعية الإسلام فإني أنا
رسول الله الى الخلق كافة ، لينذر من كان حياً ويحق للقول على الكافرين ، فأسلم
تسلم ، فإن أبيت فإثم الجوس عليك . »

وكتب بضدها الى وائل بن حجر الحضرمي وقومه ففخم لهم اللفظ لما عرف
من فضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم سماع مثله فقال : « من محمد رسول الله إلى
الأقبال المباهلة من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على النية الشاة ،
والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلط ولا وراط ، لا شناق ولا شفار ،
ومن أجبي فقد أربى ، وكل مسكر حرام » (٢) .

(١) قال صاحب الصناعتين : وصف المتكلم بالبلاغة من قبل التوسع ، والمجاز ، وحقيقته
بليغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعني إحكام أفعاله كما قال تعالى : « حكمة بالغة » فوصف
الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم .

(٢) الأقبال واحدة قيل بفتح القاف وهو الملك ، والمباهلة الذين أقرأوا على ملكهم ، والنيمة
الأربعون من النعم ، والنيمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، والسيوب المغادن ،
ولا خلط أي لا يخلط رجل إبلة بابل غيره أو يقره ليمنع الصدقة ، والوراط الخديعة والفس ،
والشباق ما بين الفريضتين حتى تنم ، والشفار أن يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه
أخرى بلا مهر ، والاجباء بيع الزرع قبل أن يمدو صلاحه .

متممات

أولاً : علمت مما سبق في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ، ما يعثور الكلام من العيوب ، ويزري بقيمته ويحط من قدره ، فوجب أن تعرف بم تداوي هذه العيوب ، فنقول :

(أ) مخالفة القياس - يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف ، فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ، ألا ترى أن نافع بن أبي نعيم ، وهو من أكابر القراء السبعة قدراً وأفخمهم شأنًا ، قال في معاش ، معاش بالهمز ، مع أن الياء^(١) فيها ليست زائدة لأنها من العيش ، فعيب عليه ذلك ، حتى إن أبا عثمان المازني قال : إن نافعاً لم يدر ما العربية .

(ب) ضعف التأليف والتعقيد اللفظي - يتباعد عنها بملاحظة قواعد النحو ، إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب . وقد يشذ عن قانونه الخاصة بله العامة فينزل كلامهم الى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح ، انظر ما وقع فيه أبو نواس حيث يقول في مدح الأمين :

يا خير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون

فرفع المستثنى في موجب الكلام ، ومعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خوافيه .

(ج) الغرابة - يسهل التباعد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاط بمعاني المفردات المأثورة ، عرف أن ما سواه مما يفتقر إلى بحث وتنقيب ، أو تخريج على وجه بعيد فقريب .

(د) الأحوال ومقتضياتها - تعلم من دراسة علم المعاني .

(هـ) التعقيد المعنوي - يمكن التجافي عنه بدراسة علم البيان .

(و) وجوه تحسين الكلام التي تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة - تعرف من علم البديع .

(ز) التنافر - وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسي .

(١) ظن أن مفرداً فعلية فجمعها على فمائل ، وليس كذلك ، بل هي مفعلة بكسر العين ، فأصلها مبيسة بكسر الياء ، فبأوها ليست كياء صحيفة فلا تنقلب في الجمع همزة .

ثانياً : علم البيان في اصطلاح المتقدمين اسم جامع للعلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) وعليه قول الجاحظ : البيان اسم جامع لكل ما كشف لك المعنى ، وقول ابن المعتز : البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول .

بعض الأئمة يسمي الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمي بعضهم الأول علم المعاني ، والأخيرين علم البيان .

ثالثاً : للمتقدمين في حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك بعضاً مما فصلناه، منها قول محمد بن الحنفية : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأيسر العبارة . وقول ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير . وقول بعضهم : هي قلة اللفظ ، وسهولة المعنى ، وحسن البديهة .

علم المعاني

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذي سبق له ، فبه تختز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذي يدعو الى التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والإيجاز حيناً والاطناب آخر ، والفصل والوصل ، الى غير ذلك مما سنذكر بعد .
فنه نعرف مثلاً :

(١) أن العرب توجز إذ شكرت أو اعتذرت .

(٢) أن العرب تطنب إذا مدحت .

(٣) أن الجملة الاسمية تأتي لإفادة الثبات بمقتضى المقام .

فحق وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزغ عن أساليبهم ونهج تراكيبهم وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التي يورد فيها ، فالشكر حال يقتضي الإيجاز وإيراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

واضحة : أول من بسط قواعده الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ، فهو الذي هذب مسائله وأوضح قواعده ، وقد وضع فيه الأئمة قبله تنقلاً كالجاحظ وأبي هلال العسكري ، إلا أنهم لم يوفقوا الى مثل ما وفق اليه ذلكم الخبر الجليل .

فأنته

(١) الوقوف على أسرار البلاغة في منشور الكلام ومنظومه ، فنحن ندي
حدوهما ، وننسخ على منوالهما ، ونعرف السر في اقتضار النبي ﷺ بقوله :
« أنا أفصح من نطق بالضاد » . وقوله : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي
الكلام اختصاراً » . ونفهم وجه تعجب الصحابة من فصاحته عليه السلام ،
فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال له : ما بالك يا رسول الله ؟ أفصحنا
ولم تخرج من بين أظهرنا .

(٢) معرفة وجه إعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله به من حسن التأليف
وبراعة التركيب ، وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة وسهولة وسلامة ، فنقتنع
ببلاغته ونذكر السر في فصاحته ، وكيف كان معجزة خالدة على وجه الدهر
لا يبليها كثر الجديدين ولا مرور الملوين .

وقد رتبنا الكلام في هذا الفن على اثني عشر باباً :

الباب الاول في الخبر

وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول في تعريف الخبر

الخبر ما احتمل الصدق والكذب لذاته ، قولنا ليدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق ، كأخبار الله وأخبار رسله ، والواجبة الكذب كأخبار المتنبيين في دعوى النبوة ، والبدعيات المقطوع بصدقها أو كذبها ، فكل هذه إذا نظر إليها لذاتها دون اعتبارات أخرى احتملت أحد الأمرين ، أما إذا نظر فيها الى خصوصية في الخبر ، أو في الخبر تكون متعينة لأحدهما ، وإن شئت قلت الخبر ما لا تتوقف تحقق مدلوله على النطق به نحو : الصدق فضيلة ، وإنفاق المال في سبيل الخير محمود . وبضد هذين التعريفين الإنشاء .

صلق الخبر

لكل خبر تتلفظ به نسبتان :

- (١) نسبة تفهم من الخبر ، ويبدل عليها الكلام ، وتسمى النسبة الكلامية .
- (٢) نسبة أخرى تعرف من الخارج والواقع بقطع النظر عن الخبر وتسمى بالنسبة الخارجية ، فإن طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية في الإيجاب أو في النفي كان الكلام صدقاً ، وإلا كان كذباً . مثلاً إذا قلنا : « الشمس طالعة » وكانت هي في الواقع والخارج كذلك سمي الكلام صدقاً ، وإن لم تكن طالعة سمي الكلام كذباً ، فصدق الخبر إذا مطابقته الواقع والخارج ، وكذبه عدمها .

تنبيه

ما تقدم من المحصار الخبر في الصادق والكاذب ، ومن تعريف الصدق والكذب بما ذكر هو مذهب الجمهور الذي عليه المعول .

ويرى إبراهيم النظام ومن تابعه أن صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر به ، ولو كان خطأ غير مطابق للواقع ، وكذبه عدمها ، فإذا قال قائل : الشمس أصغر حجماً من الأرض ، معتقداً ذلك ، كان صدقاً ، وإذا قال : الشمس أكبر من الأرض ، وكان غير معتقد ذلك ، كان كذباً .

واحتج لذلك بوجهين :

(١) أن من اعتقد أمراً فأخبر به ، ثم ظهر خبره مخالفاً للواقع فإنه يقال : ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى أن عائشة قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، ورد بأن المنفي تعمد الكذب لا الكذب ، بدليل تكذيبنا اليهودي إذا قال : الإسلام باطل ، وتصديقنا إياه إذا قال : الإسلام حق .

(٢) قوله تعالى : ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ ^(١) ، فقد كذبهم في قولهم : إنك لرسول الله ، وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه . وأجيب عن ذلك بوجوه :

(أ) أن المعنى نشهد شهادة وافقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد الى ذلك التأكيد بأن اللام والجملة الاسمية في قولهم : إنك لرسول الله ، فالتكذيب راجع الى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً ، وهو أنها من صميم القلب ، وخلص الاعتقاد .

(ب) أن التكذيب متجه الى تسمية إخبارهم شهادة ، لأن الإخبار إذا خلا عن المواطأة للاعتقاد لم يكن شهادة في الحقيقة .

(ج) أن المراد لكاذبون في قولهم : إنك لرسول الله ، لا في الواقع ، بل في زعمهم واعتقادهم لأنهم يعتقدون أنه غير مطابق للواقع ، فيكون كذباً باعتبار اعتقادهم ، وإن كان صادقاً في الواقع والحقيقة ، فكانه قيل إنهم يزعمون أنهم كاذبون في هذا الخبر الصادق .

ويرى تليذه الجاحظ أن الخبر غير منحصر في القسمين الصادق والكاذب ، بل الأقسام الثلاثة : صادق وكاذب وواسطة بينهما ، لأن الحكم إن طابق الواقع مع اعتقاد المخبر أنه مطابق فهو صدق ، وإن لم يطابق الواقع مع اعتقاده أنه

(١) سورة المنافقون .

غير مطابق ، فهو كذب ، وغير هذين ^(١) ليس بصدق ولا كذب .
 واحتج لذلك بقوله تعالى : ﴿ افترى على الله كذباً أم به جنة ﴾ ^(٢) ،
 فقد حصر المشركون إخبار النبي بالحشر والنشر في الافتراء ، والأخبار حال
 الجنون على طريق منع الخلو والاجتماع معاً . ولا شك أن أخباره حال الجنون
 ليس كذباً لجعلهم الافتراء ^(٣) في مقابلته ، ولا صدقاً لأنهم اعتقدوا عدم صدقه .
 وقد رد هذا المعنى قولهم : ﴿ أم به جنة ﴾ أم لم يفتر فيكون مرادهم أن
 أخباره ~~غيره~~ إما مختلفة قصداً أو مختلفة بلا قصد ، فعبروا عن الأول بالافتراء
 وعن الثاني بوجود الجنة لاستزامه ^(٤) عدم الافتراء ، وعلى هذا يكون حصر
 الأخبار في الإفتراء وعدمه من قبيل حصر الكذب في نوعية العمد وغيره لا حصر
 الخبر مطلقاً .

المبحث الثاني في تأليف الجمل

لكل جملة ركنان أساسيان لا بد منها في تكوينها (وهما المسند إليه) وهو
 المبتدأ ونحوه (والمسند) الخبر ونحوه ، وما زاد عليها من مفعول وحال وتمييز
 فهو قيد زائد إلا صلة الموصول والمضاف إليه :

المسند	فالمسند إليه هو
(١) المبتدأ المستغنى عن الخبر	(١) فاعل الفعل التام نحو جاء على
(٢) خبر المبتدأ	(٢) المبتدأ الذي له خبر نحو الصدق نافع
(٣) أخبار النواسخ كإن وكان وظن	(٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو إن الصادق محبوب
(٤) الفعل التام	(٤) فاعل الوصف نحو أسافر أخوك
(٥) المفعول الثاني لظن وأخواتها	(٥) المفعول الأول لظن وأخواتها نحو أظن خدمة الوطن فضيلة
(٦) المفعول الثالث لأرى وأخواتها	(٦) المفعول الثاني لأرى وأخواتها نحو أريت علياً الصدق نافعاً
(٧) اسم الفعل نحووي بمعنى أعجب	

- (١) وهو أربعة أقسام : المطابقة مع اعتقاد عدم المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً ، وعدم
 المطابقة مع اعتقاد المطابقة ، أو بدون الاعتقاد أصلاً .
 (٢) سورة سبأ الآية ٨ .
 (٣) وهو الكذب .
 (٤) على طريق المجاز المرسل فقد أطلق اسم اللزوم وأراد اللزوم .

المبحث الثالث في الغرض من إلقاء الخبر

الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين :

(١) إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، ويسمى ذلك فائدة الخبر ، نحو : حروب المستقبل جوية .

(٢) إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بهذا الحكم ، ويسمى ذلك لازم الفائدة ، كما تقول لشخص أخفى عليك سفره فعلته من طريق آخر: أنت سافرت أمس .

وربما لا يقصد من إلقاء الخبر أحد ذينك الغرضين ، بل يلقي لأغراض أخرى تستفاد من سياق الكلام ، أهمها :

(أ) إظهار الأسف والحسرة على فائت نحو:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجهد الأجر

(ب) إظهار الضعف نحو :

فقد كنت عدتي التي أسطو بها وبدي إذا اشتد الزمان وساعدي

(ج) الاسترحام والاستعطاف نحو:

رب إنني لا أستطيع اصطباراً فاعف عني يا من يقبل العثارا

(د) التوبيخ كما تقول للطالب المهمل الذي رسب في الإمتحان: « أنت رسبت في الإمتحان » .

(هـ) إظهار الفرح ، كما يقول من نجح في الإمتحان لمن يعرف ذلك : « فزت في الإمتحان » .

(و) التنشيط وتحريك الهمة لنيل ما يلزم تحصيله نحو : الناس يشكرون المحسن .

(ز) التذكير بما بين المراتب من التفاوت نحو : لا يستوي كسلان ونشيط .

(ح) الوعظ والإرشاد نحو : ﴿ كل من عليها فان ﴾^(١) .

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦ .

نموذج اول

اذكر ما يستفاد من هذه الأخبار:

- (١) هناك مما ذاك العزاء المقدما
- (٢) أصبت بسادة كانوا عيوناً
- (٣) إلهي عبدك العاصي أنا كما
- (٤) أنا القائد الحامي الذمار وإنما
- (٥) تقول للعائر : المصباح في يدك
- (٦) الحياة كطيف الخيال

الاجابة

- (١) الفرح بالمقبل ونسيان الأحزان المدبرة .
- (٢) الأسف والحزن على فقدان أولئك السادة الأجداد .
- (٣) الخشوع والضعف .
- (٤) الفخر والشجاعة والحمية .
- (٥) التوبخ والتأنيب لوجود حال تقتضي ضد ما حصل .
- (٦) العظة والاعتبار .

نموذج ثان

- (١) أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا
- (٢) ذهب الشباب فيما له من عودة
- (٣) ما أنت بالذي يمول عليه
- (٤) قيمة كل امريء ما يحسنه
- (٥) كل امريء بما كسب رهين
- (٦) تقول لضيف زارنا الغيث

(١) كانوا يطلبون الماء اذا انقطع الغيث بالاشادة بذكر العطاء والأشرف .

الاجابة

- (١) الأسف والحسرة على فوات ما كان مرجواً .
- (٢) الأسف والحسرة على ما فات .
- (٣) التوبخ وإغاظه المخاطب .
- (٤) تنشيط السامع ، وحثه على صالح العمل .
- (٥) الحث والتنشيط على العمل .
- (٦) الفرح والسرور بمقدمه .

تموين (١)

ماذا يراد من هذه الأخبار:

- (١) ﴿ وما ربك بظلام للعبيد ﴾^(١) .
- (٢) وأنت الذي رببتَ ذا الملك مرضعاً وليس له أم سواك ولا أب
- (٣) ذل من يقبض الدليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
- (٤) تقول لمن يحث على الحرب: الحرب متلفة للعباد . ذهابة بالطارف والنلاد .
- (٥) يقول الطالب لأهله : نلت الجائزة الأولى .
- (٦) يقول التاجر الذي خسر : ضاعت أتعابي سدى .
- (٧) أودى الشباب فما له منقفر وفقدت أترابي فإين المتعبّر^(٢)

تموين (٢)

- (١) كل نفس ذائقة الموت .
- (٢) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً .
- (٣) الظلم ظلمات يوم القيامة .
- (٤) من حفر حفرة لأخيه المؤمن وقع فيها .
- (٥) مررت على أبيات آل محمد فلم أرها أمثالها يوم حلت
- (٦) رزئنا أبا عمرو ولا حي مثله فله ريب الحادثات بمن وقع
- (٧) دفعنا بك الأيام حتى إذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعاً^(٣)

(١) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٢) المتقفر المتبجح ، والأتراب جمع تراب ، وهو من في سنك ، والمعبّر المهرب .

(٣) مدفعاً أي دفماً .

المبحث الرابع في طريق إلقاء الخبر

من مزايا اللغة العربية دقة التعبير واختلاف الأساليب ، بتنوع الأغراض والمقاصد ، فمن الخطئ عند ذوي المعرفة البسط والأطناب ، إذا لم تكن الحاجة ماسة إليه ، والإيجاز حيث تطلب الزيادة ، وقد خفيت هذه الدقائق على الخاصة بله العامة ، ويرشد إل ذلك ما رواه الثقات من أن المتفلسف الكندي ركب إلى أبي العباس المبرد ، وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : عبد الله قائم ، ويقولون أن عبد الله قائم ، ثم يقولون أن عبد الله لقائم ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فالأول إخبار عن قيامه والثاني جواب عن سؤال سائل والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، فما أحرار المتفلسف جواباً .

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا زائداً عليها ، وإلا كان عبثاً ، ولا ناقصاً وإلا أخل بالعرض ، وهو الإفصاح والبيان ، وتعلم أيضاً أن المخاطب لا يخلو من أن يكون واحداً من ثلاثة :

(١) خالي الذهن من الحكم ، ومن التردد فيه فيلقي إليه الكلام ساذجاً غفلاً من أدوات التوكيد التي سترد عليك ، ويسمى هذا الضرب ابتدائياً ، نحو : محمد مسافر .

(٢) المتردد في ثبوت الحكم وعدمه بالألا يترجح عنده هذا على ذلك ، وحينئذ يحسن تقوية الحكم مؤكداً ليزيل ذلك التردد ، ويسمى هذا الضرب طلبياً .

ويرى عبد القاهر أنه إنما يحسن التوكيد إذا كان للمخاطب ظن على خلاف حكك ، وله تشوف إلى الوقوف على الحقيقة ، فيحسن تقوية الحكم له بأن ونحوها ليتمكن المعنى المراد في نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره .

ثم قال : ومن ثم يحسن موقع إن إذا كان الخبر بأمر يبعد في الظن مثله لأن العادة جرت بخلافه كقول أبي نواس :

عليك بالياس من الناس إن غنى نفسك في اليأس

لما كان في مجرى العرف والعادة ألا يدع الناس الطمع والرجاء ويحملوا أنفسهم على اليأس ويحملوا فيه الغنى كما ادعى ، أكده بأن .

(٣) المنكر للحكم ، وهذا يجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره ، قوه وضعفاً، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون الى الزيادة في تثبيت خبره إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته ، فهو حينئذ يبالغ في تأكيده حتى يزيل إنكاره ، يدل على ذلك ما قصه الله تعالى علينا حكاية عن رسل عيسى عليه السلام حين بعثهم الى أهل أنطاكية فكذبوهم فقالوا لهم في المرة الأولى : ﴿ إنا إليكم 'مرسلون' ﴾ (١) وفي الثانية : ﴿ ربنا يعلم أننا إليكم لمرسلون ﴾ (٢) فأكدوا لهم أولاً بأن واسمية الجملة ، وثانياً بالقسم (إذ ربنا يعلم في حكم ، علم الله وشهد الله) وان اللام والجملة الاسمية لما رأوا من شديد إنكارهم ، ويسمى هذا الضرب إنكارياً (٣) .

والجري على هذا المنهج والسير على تلك الطريق في الأضرب الثلاثة يسمى : إخراج الكلام على مقتضى الظاهر .

وقد يلاحظ المتكلم اعتبارات أخرى خفية ، فيخرج كلامه على اعتبارها ، ويسمى ذلك إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، ولذلك صور كثيرة ، منها :

(١) أن ينزل غير السائل منزلة السائل ، فيؤكد له الكلام إذا تقدم ما يشير الى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع اليه استشراف الطالب المتردد ، وذلك كثير في القرآن الكريم وكلام العرب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرّقون ﴾ (٤) فحين تقدم قوله : واصنع الفلك بأعيننا ، وقوله : ولا تخاطبني ، صار المقام مقام تردد بأن القوم هل حكم عليهم بالإغراق ؟ فقيل : إنهم مغرّقون ، وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ (٥) . وقوله : ﴿ وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ (٦) .

(١ و ٢) سورة يس الآية ١٤ و ١٦ .

(٣) واعتبارات النفي كاعتبارات الاثبات فيجود عن المؤكدات في الابتدائي ويقوي بمؤكد استحساناً في الطلبي ويجب التوكيد في الإنكاري .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .

(٥) سورة الحج الآية ١ ، فان أمرهم بالتقوى يشير الى جنس الخبر الاتي بعده وأن هناك أمراً لا تؤمن التقوى من فزعها في ذلك اليوم ، فكان المقام مقام تردد في أنه هل هناك أمامهم أمر مهم يقع لهم أن لم يتقوا ، فقيل أن زلزلة الخ ، وهكذا يقال فيما بعده .

(٦) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

وقول بعض العرب :

فغناها وهي لك الفداء إن عناء الإبل الحداء

وقول بشار :

بكرًا صاحبي قبل الهجير إن ذاك النجاح في التكبير

(٢) أن ينزل من لا ينكر الخبر منزلة من ينكره تهكمًا به إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار كقول حجل بن فضلة القيسي ، وهو من أولاد عم شقيق :

جاء شقيق عارضاً رمحه إن بني عمك فيهم رماح

فمجيء شقيق هكذا مدلاً بنفسه معجباً بشجاعته ، واضعاً رمحه عرضاً (١) ، دليل على صلفه وزهوه ببسالته ، واعتقاده أنه لن يجد مقاوماً من بني عمه ، حتى كأنهم عزل ليس معهم ما يدافعون به ، ومن ثم نزله منزلة المنكر ، وخاطبه بالشطرنج الثاني خطاب التفات بعد غيبة ، تهكمًا به ، ورمياً له بالنزق ، وخرق الرأي .

(٣) أن يجعل المنكر كأنهم غير منكر ، فلا يعتد بإنكاره ، لأن أمامه من الدلائل الساطعة والبراهين القاطعة ، مما فيه مقنع له لو أزال تلك الغشاوة عن عينيه والتفت إلى ما يحيط به ، وعليه قوله تعالى خطاباً لمنكري الوجدانية : ﴿ وإلهم إلهٌ واحدٌ ﴾ (٢) إذ العقل قاض بأن تعدد الآلهة يقتضي تخالف أفعالهم لاختلاف علومهم وإرادتهم ، وكل منهم له التصرف في السموات والأرض ، والقدرة على إيجاد الممكنات فتضارت أفعالهم ويفسد نظام الكون ، والمشاهد أنه على أتم نظام ، فهو الواحد لا شريك له .

(٤) أن ينزل العمام بالفائدة ولازمها منزلة الجاهل لعدم جريه على موجب العلم (وهو العمل به) كما تقول لمن يسيء إلى أبيه ويقسو عليه : هذا أبوك فأحسن إليه . فكأنك تقول له : إن هذه المعاملة لتدل على أنك تجهل أبوتك لك . وهذا كله اعتبارات الإثبات ، وقس عليه اعتبارات النفي كقولك : ليس زيد منطلقاً وبمنطلق ، ووالله ليس على المنطلق ، وهكذا .

(١) بأن يجعل الرمح على فخذه وهو راكب بحيث يكون عرضه جهة المدور .

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٣ .

تنبيهات

(١) التوكيد تمكين الشيء في النفس وتقويته ، لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه ، والمراد به في هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند إليه ، ولا تأكيد المسند ، فلو قلت : على نفسه قائم ، أو جاء علي ، لا يكون مما نحن فيه .

(٢) التوكيد في الجمل الإسمية يكون بأن ، أو بأن ، واللام ، أو بأن واللام والقسم كما قد عرفت ، وفي الجمل الفعلية يكون بقد ، أو بقد والقسم ، كقول العباس بن مرداس :

لقد عظم البعير بغير لبٍ فلن يستغن بالعظم البعير

(٣) المؤكدات المشهورة هي : إن ، أن ، لام الابتداء ، نون التوكيد ، القسم ، أما المشروطية ، أحرف التنبيه ، أحرف الزيادة ، ضمير الفصل ، تقديم الفاعل في المعنى ، نحو : محمد يقوم ، السين وسوف الداخلتان على فعل دال على وعد ، أو وعيد ، نحو : سأمنح المجتهد جائزة ، وسأعاقب المسيء ، قد التي للتحقيق ، تكرير النفي ، إنما .

(٤) الخطاب بالجملة الإسمية وحدها أكد من الخطاب بالجملة الفعلية ، فإذا أريد مجرد الأخبار فقط أتى بالفعلية ، وإن أريد التأكيد فبالإسمية وحدها ، أو بها مع إن أو بها وباللام ثم بالثلاثة والقسم .

هذا والتأكيد كما يأتي في الخبر يأتي في الإنشاء كقول الشاعر :

هلا تمّن بوعسد غير مخلقة كما عهدتك في أيام ذي سلم

ولكنه لا يكون فيه لدفع التردد ، أو الإنكار ، لكن لدلالته على استبعاد الحكم من الخبر ، كما في قوله تعالى : ﴿ ربّ إن قومي كذّبون ﴾ (١) .

(٥) من فوائد إن غير التوكيد :

(أ) ربط الجملة بما قبلها ، كما تقدم في قوله : إن غناء الإبل الحداء ، فلو أسقطت إن ، لم يقل إلا بالغاء ، فيقال : فغناء الإبل الحداء .

(١) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

(ب) تهينة النكرة وصلاحيتها ، لأن تكون مسنداً اليه كقوله :

إن دهرأ يلف شملي بسمدي لزمان هم بالإحسان

(ج) غناؤها عن الخير في بعض المواضع كقولهم : إن مالا ، وإن ولداً ،
وإن عدداً يريدون إن لهم مالا ، وإن لهم عدداً ، وعليه قول الأعشى :

إن محلاً وإن مرتجلاً وإن في السفر إذ مضوا مهلاً^(١)

(د) الدلالة على أن الظن كان من المتكلم في الذي كان أنه لا يكون كقولك
للشيء هو بمرأى ومسمع من مخاطب : إنه كان من الأمر ما ترى ، وأحسنت
الى فلان ثم إنه جعل جزائي ما ترى ، وعليه قوله تعالى : ﴿ رب إني وضعتها
أنثى ﴾^(٢) . ﴿ رب إن قومي كذبون ﴾^(٣) . قاله عبد القاهر في
« دلائل الإعجاز » .

(هـ) أن لضمير الشأن معها حسناً لا يكون بدونها ، نحو : أنه من يتق ويصبر .
أنه من يعمل سوءاً يجز به . أنه لا يفلح الكافرون .

تدريب أول

اذكر أضرب الخبر فيما يلي ، وبين المؤكدات التي في كل جملة :

- | | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| (١) ما أن ندمت على سكوقي مرة | ولقد ندمت على الكلام مراراً |
| (٢) وإني لصبار على ما ينوبني | وحسبك أن الله أثنى على الصبر |
| (٣) فما الحدائة عن حلم بمانعة | قد يوجد الحلم في الشبان والشيب |
| (٤) ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي | والنصح أغلى ما يُباع ويوهب |
| (٥) فيوم علينا ويوم لنا | ويوم نساء ويوم نسر |
| (٦) وإني لحاو تعتريني مرارة | وإني لتراك لما لم أعود |

(١) تقدير المحذوف إن لنا في الدنيا محلاً ، ولنا عنها الى الآخرة مرتجلاً .

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٦ .

(٣) سورة الشعراء الآية ١١٧ .

الاجابة

الضرب	المؤكدات	الجملة	الرقم
طلبي إنكاري إنكاري	إن الزائدة لام القسم وقد إن ولام الابتداء	ما أن ندمت ولقد ندمت إني لصبار	(١) (٢)
طلبي طلبي طلبي	أن الباء الزائدة قد	وحسبك أن الله الخ فما الحدائة الخ قد يوجد الخ	(٣)
إنكاري طلبي	القسم وقد التكرير	ولقد نصحتك الخ فيوم الخ	(٤) (٥)
ابتدائي إنكاري إنكاري	إن ولا الابتداء إن ولا الابتداء	والنصح أعلى الخ وإني لحلوه الخ وإني لثراك الخ	(٦)

تدريب ثان

- (١) إن الحياة لثوب سوف نخلمه وكل ثوب إذا ما رث ينخلع
 (٢) أتك الخلاقة منفاة إليك تجرر أذيالها
 (٣) إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة
 (٤) قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه خلق
 (٥) ألا إن أخلاق الفتى كزمانه منهن بيض في العيون وسود

الاجابة

الضرب	المؤكدات	الجملة
إنكاري ابتدائي ابتدائي إنكاري إنكاري طلبي إنكاري ابتدائي	إن ولام الابداء إن ولام الابتداء إن ولام الابتداء قد حرف التنبيه وإن	ان الحياة لثوب الخ وكل ثوب الخ أتك الخلاقة الخ أن من البيان لسحرا إن من الشعر لحكمة قد يدرك الشرف الفتى الخ ألا إن أخلاق الفتى كزمانه منهن بيض في العيون وسود

تمرين (١)

من أي الأضرب الجمل الآتية ، وأيا جرى على خلاف مقتضى الظاهر؟

- ١ - ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ (١١).
- ٢ - ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٢).
- ٣ - قال أبو بكر رضي الله عنه : أن البلاء موكل بالمنطق .
- ٤ - ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (٣١).
- ٥ - الإسلام حق .
- ٦ - ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِرُؤُوسِكُمْ لَتَوَجَّهُونَ إِلَى رَبِّكُمْ فَذُكِّرْتُمْ﴾ (٤٤).

تمرين (٢)

- (١) ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس
- (٢) ﴿ومن يعصم بالله فقد هدي﴾ الى صراط مستقيم ﴿ (٥) .
- (٣) إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله
- (٤) ولقد علمت لتأتين مني إن المنايا لا تطيش سهامها
- (٥) إن السلاح جميع الناس تحمله وليس كل ذوات الخلب السبع
- (٦) هي الأمور كما شاهدها دول من سره زمن ساءته أزمان

المبحث الخامس في الجملة الاسمية والفعلية

بما تمس الحاجة الى معرفته ، الفرق بين الجملة الاسمية والفعلية في الاستعمال ،
لوعورة المسلك ودقة الصنع ، إذ قلما يفتن له الفصحاء ذور الدراية في المنطق ،
وبيان ذلك أن الجملة قسيان :

- (١) سورة القصص الآية ٧٦ .
- (٢) سورة يونس الآية ٦٢ .
- (٣) سورة البقرة الآيتان ٢٠١ و ٢٠٢ .
- (٤) سورة المؤمنون الآية ١٦ .
- (٥) سورة آل عمران الآية ١٠١ .

(١) اسمية وتفيد بأصل وضعها ثبوت الحكم فحسب ، بلا نظر الى تجدد ولا استمرار ، فلا استفاد من قولنا : علي مسافر ، سوى ثبوت السفر فعلاً لعلي دون نظر الى تجدد ولا حدوث ، فالمعنى فيه شبيه بالمعنى في قولنا : محمد طويل ومحمود قصير ، فكما لا يقصدها هنا الى أن يجعل الطول والقصر يتجدد ويحدث ، بل يقصد إيجابها وثبوتها فقط ، كذلك لا يتعرض في قولنا : علي مسافر لأكثر من إثبات السفر فعلاً لعلي .

ولكن قد تحف بها قرائن أخرى تستفاد من سياق الكلام ، كأن يكون في معرض مدح أو ذم أو حكمة ، أو نحو ذلك ، فتفيد الدوام والاستمرار حينئذ ، وعليه قول النضر بن جويرية يتمدح بالغنى والكرم :

لا يَألف الدرهم المضروب صرّتنا لكن يمر عليها وهو منطلق^(١)

فهو يريد أن دراهمهم دائمة الانطلاق تشرق من الكيس مروق السهام من قسيها لتوزع على المعوزين وأرباب الحاجات ، كما يرشد الى ذلك ما قبله :

إنّا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلت الى طرق المعروف تستبق

ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢) ، فسياق الحديث في معرض المدح دال على إفادة الاستمرار والدوام .

(٢) فعلية ، وتدل بأصل وضعها على التجدد في زمن معين مع الاختصار ، فلا استفاد من نحو : طلعت الشمس ، إلا إثبات الطلوع فعلاً للشمس في زمن مضى .

تفسير هذا أن الفعل يدل على أحد الأزمنة الثلاثة بذاته لا بقرينة^(٣) خارجة عنه ، وهذا الزمن الذي هو أحد مدلوليه (مدلوله الثاني الحدث) لا تجتمع أجزاءه في الخارج ، بل تقتصرم وتنقضي شيئاً فشيئاً ، ومن ثم كان الفعل مع إفادته الزمن يفيد أيضاً تجدد الحدث وحصوله بعد أن لم يكن ، بخلاف الاسم ، فإنه إنما يدل على الزمن المعين بقرينة أخرى ، كأن يقال : أمس أو الآن أو غداً .

(١) الصرة كيس الدراهم .

(٢) سورة القلم .

(٣) أما احتياج الفعل المضارع الى قرينة في تعيين الحال أو الاستقبال فهو تعيين للمراد لا تعيين للزمن لأنه دال عليه بالوضع .

وقد تفيد الاستمرار التجديدي شيئاً فشيئاً بمعونة القرائن إذا كان الفعل مضارعاً ، ومن البيّن في ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ (١) ، فالقصد الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال آنناً إثر آن ، وحالاً بعد حال . ونحوه قول طريف بن تميم العنبري يتمدح بجرأته وشجاعته :

أَوْ كَلَّمَا وَرَدَتْ عَكَازَ قَبِيلَةَ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ (٢)

إذ يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ليتفرس في وجوه القوم مرة بعد أخرى ، ويتوسمها وقتاً بعد وقت ، لعله يهتدي الى معرفتي . وقول المتنبي :

تدبر شرق الأرض والغرب كفه وليس لها يوماً عن الجود شاغل
فقريئة المدح قدل على أن تدبير الملك ديدنه وحاله المستمرة التي لا يجيد عنها .

تنبيهات

١ - الجملة الاسمية إنمّا تفيد الدوام والثبات بقريئة المقام إذا كان خبرها مفرداً أو جملة اسمية ، نحو : محمد كريم ، على أبوه جواد . أما إذا كان خبرها جملة فعلية فإنها تفيد التجدد .

٢ - المسند تارة يكون مفرداً فعلاً كان أو اسماً ، وطوراً يكون ظرفاً للاختصار ، نحو : البركة في البكور . وحيناً يكون جملة للأسباب الآتية :

(أ) إذا قصد تقوية الحكم بتكرير الإسناد ، نحو قول المتنبي :

والله يسعد كل يوم جده ويزيد من أعدائه في آله

(ب) إذا قصد قصر الحكم وتخصّصه بالمسند ، نحو : أنا سميت في حاجتك ، أي لا غيري .

(ج) إذا كان سببياً أي جملة معلقة على مبتدأ بعائد لا يكون مسنداً إليه في تلك الجملة ، نحو : محمد أخوه نبيه - إبراهيم نوح ابنه .

(١) سورة ص الآية ١٨ .

(٢) عكاظ أكبر الأسواق العربية التي كانت من أسباب تهذيب اللغة ، وفيها كانوا يجتمعون للتفاخر والتناظر ليلاً ولتصريف التاجر نهاراً .

تدريب أول

بيِّن فائدة التعمير بالجملة الاسمية أو الفعلية في التراكيب الآتية :

- ١ - قال تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾^(١).
- ٢ - نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي
- ٣ - وعلى إثرهم تساقط نفسي حشرات وذكرهم لي سقام
- ٤ - الحلف منقمة للسلمة ممحقة للبركة^(٢)
- ٥ - يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه ، أمن الحلال أم من الحرام
- ٦ - وتحى له المال الصوارم والقنا ويقتل ما تحي التيسم والجدا^(٣)

الاجابة

الاجابة	ما تفيد	نوعها	الجملة
إذ محو بعض الخلائق وإثبات البعض مستمر متجدد	الاستمرار التجدي	مضارعية	يمحو الله
أم الكتاب اللوح المحفوظ والقربة قوله : وحاجة من عاش لا تنقضي	الدوام الاستمرار التجدي	اسمية مضارعية	وعنده أم الكتاب نروح ونغدو
لأن غيرها فعل القربة حالية وهي الحزن والأسى	تفيد التجدد الاستمرار التجدي	اسمية مضارعية	وحاجة من عاش الخ على إثرهم تساقط
القربة حالية وهي الحزن	الاستمرار والدوام	اسمية	وذكرهم لي سقام
القربة حالية وهي الدم	الدوام التجدد	اسمية مضارعية	الحلف منقمة يأتي على الناس الخ
بقربة المدح	الاستمرار التجدي	مضارعية	وتحي له المال

(١) سورة الرعد الآية ٣٩ .

(٢) نقت السلمة راجت في السوق ، والمحق الزوال .

(٣) الصوارم السيوف والقنا الرماح والجدا المطاء .

تدريب ثان

- ١ - سلام على القبر الذي لا يحيينا ونحن نحيا وربّه ونحسّاطبه
- ٢ - لا خير في ود امرئ متملق حلو اللسان وقلبه يتلهب
- ٣ - ﴿إِنْ رَبُّكَ بِالْمُرْصَادِ﴾ (١)
- ٤ - ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة
- ٥ - لعمرى لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار البقاع تحرق
- ٦ - الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار مبعودة منذ كانت النار

الاجابة

الاجابة	ما تفيد	نوعها	الجملة
بقريته الحزن والأسى	الدوام	اسمية	سلام على القبر
لأن خيره فعل	التجدد	اسمية	ونحن نحيا
لأن المقام للذم	الدوام	اسمية	لا خير في ود امرئ
بقريته الاستناد إلى الله تعالى	الدوام	اسمية	ان ربك الخ
بقريته أنها حكمة	الدوام	اسمية	ثمرة القناعة الخ
بقريته المدح	التجدد والحدوث	ماضوية	لعمرى لقد لاحت عيون
في معرض الحكمة	الاستمرار التجديدي	مضارعية	تحرق
	الدوام	اسمية	الأرض مظلمة

تمرين (١)

بيّن ما يستفاد من الجمل فيما يلي واذكر أضرب الخبر:

- ١ - فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء
- ٢ - ﴿وَيَوْمَ تَشْتَقُّ السَّمَاءُ بِالقِيَامِ وَنُزِلَ الملائكةُ قزبلاً ، المُلْكُ يومئذٍ الحقُّ للرحمن﴾ (٢)
- ٣ - هوى الشفاء مبرز ومقصر حب الشفاء طبيعة الإنسان

(١) سورة الفجر الآية ١٤ .

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٢٥ و ٢٦ .

- ٤- بك اجتمع الملك المبدد شمله وضمت قواص منه بعد قواصي
 ٥- ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (١)
 ٦- العين ترى كل شيء ، ولا ترى نفسها إلا بمرآة .

تمرين (٢)

- ١- يكفكف غيلة إحدى يديه ويبسط لولوتوب على أخرى
 ٢- المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك الى اعدائك السقم
 ٣- السيف أصدق أبناء من الكذب في حده الحد بين الجد واللعب
 ٤- ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خلق الزمان عداوة الأحرار
 ٥- والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يواري في ثرى رمله
 ٦- هناء محاذك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

الباب الثاني في الانشاء

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول في تعريف الانشاء

الإنشاء في اللغة الإيجاد والاختراع في الاصطلاح يطلق بأحد إطلاقين :

١ - المعنى المصدرى وهو إلقاء الكلام الذي ليس لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه .

٢ - المعنى الاسمي وهو نفس الكلام الملقى الذي له الصفة المتقدمة .

وينقسم بالاعتبار الأول الى :

(١) طلبى وهو خمسة ^(١) أنواع : الأمر والنهي والتمنى والاستفهام والنداء ، ويعرف بأنه ما يستدعى مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب .

(٢) غير طلبى وهو ما يستدعى مطلوباً حاصلًا .

وأنواعه كثيرة ، منها صيغ المدح والذم ، نحو : نعم الخليفة عمر ، وبئس الظالم الحجاج ، والعقود كعبت واشتريت ووهبت ، والقسم نحو : تالله لاصدقك ، والتمعجب نحو : ما أجل الصدق ، والرجاء بمسئ ولعل ونحوهما نحو : لعل الله يأتي بالفرج ، ورب وكم الخبرية .

والذي يهتم بالبليغ بالبحث عنه هو القسم الأول ^(٢) لأن فيه من المزايا واللطائف ما ليس في القسم الثاني .

(١) لأن المطلوب إن كان غير متوقع الحصول فهو التمني وإن كان متوقفاً ، فاما حصول صورة شيء في الذهن فهو الاستفهام وإما حصول صورة شيء في الخارج فإن كان انتفاء فهو النهي ، وإن كان ثبوتاً فاما بأحرف النداء فهو المنادى ، وإما بتغيرها فهو الأمر .

(٢) ولأن كثيراً من الانشاءات غير الطلبية أخبار في الأصل نقلت الى الانشاء .

المبحث الثاني في التمني

هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً ،
كقول المتنبي :

فليت وقاركَ فرقته وحملت أرضك ما تحمل

وأما لكونه بعيد التحقق والحصول نحو : ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(١) ، فإن كان منتظر الحصول قريب الوجود كان ترجيحاً ويعبر فيه بعسى ولعل . كقوله :

عسى الله أن يجرى المودة بيننا ويوصل حبلاً منكمو بجباليا
وقوله :

تأن ولا تمجل بلومك صاحباً لعل له عذراً وأنت تلوم
وقد يعبر فيه بليت كقول قريظ من بلسعنبر يهجو قومه :

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شدوا الإغارة فرساناً وركباناً
والفاظ التمني أربعة : واحدة أصلية ، وهي ليت ، وثلاثة تائبة عنها ، وهي :

١ - (هل) نحو : ﴿ قَهْلٌ^(٢) لَنَا مِنْ شِفَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا ﴾^(٣) ويبرز بها التمني في شكل المستهم عنه الذي لا يعجزم بانتفائه ، إظهاراً لكمال العناية به حتى لا يستطيع الاتيان به إلا في صورة الممكن المطموع في وقوعه .

٢ - (لو) نحو : ﴿ لَوْ^(٤) أَنْ لَنَا كُرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥) ، ويتمنى بها إشعاراً يعزه التمني حيث أبرز في صورة ما لا يوجد^(٦) .

٣ - (لعل) ويتمنى بها إذا كان المرجو بعيداً ميثوساً من حصوله ، فصار شبيهاً بالمحالات والممكنات التي لا طماعية في حصولها ، نحو :
أسرب القطا هل من يعبر جناحه لعلني الى من قد هويت أظير

(١) سورة القصص الآية ٧٩ .

(٢) دليل أنها للتمنى أنهم يعلمون عدم الشفيع .

(٣) سورة الشعراء الآية ١٠٢ .

(٤) دليل أنها للتمنى نصب الجواب والكرة والرجمة .

(٥) سورة الأعراف الآية ٥٣ .

(٦) لأن لو بحسب أصلها حرف امتناع .